

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

رمضان المبارك ١٤٣٥هـ	المجلد (٤٦)
يوليو ٢٠١٤ م	العدد السابع

المشـرف العام

عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	صـوت الأمـة: بی ١ / ١٨ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند The Editor, Sautul Ummah B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA)
☆ تـرسـل شيـكات الاشتراک بهذا الاسم:	دار التاليف والترجمة Name: **DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA** Bank: **ALLAHABAD BANK**, Kamachha, VARANASI A/c No.: **21044906358** IFSC Code: **ALLA0210547**
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

موقع المجلة على الانترنت: www.sautulummah.org

محتـويـــــات العــــدد

الافتتاحية

رمضان والتدبر في القرآن

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

القرآن كلام الله، أنزل لهداية الناس، فهو دستور البشرية في هذه الحياة وفي هذه الدنيا. وهو من أكبر نعم الله على البشر، لأن به قوام الدين والدنيا، وهو الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وبه سعادة الإنسان أو شقاؤه، وبه يرفع الله أقواما ويضع آخرين. تكفل الله بحفظه، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

والأمة المرحومة مسؤوليتها كبيرة تجاه هذا الكتاب المبارك. وهذه المسؤولية متنوعة أيضا، فتتطلب منها حفظه وتلاوته، وتعلمه وتدبره، والاهتداء بهديه والاستنارة بنوره، وإبلاغ دعوته إلى كافة الخلق. وكل هذه المظاهر من العناية بكتاب الله والاهتمام به تستحق أن تفرد بالحديث. ولكننا آثرنا موضوع التدبر والتفكر لنعيش معه بعض اللحظات في هذا الشهر الكريم الذي تتجدد فيه ذكرى الكتاب العزيز لمناسبة بدء نزوله فيه.

لا شك أن تلاوة القرآن وقراءة حروفه وكلماته مطلوب شرعي، وعمل ذو أجر كبير. فهناك عشرات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تحث على هذا العمل وترغب فيه وتشجع عليه. ولكن الهدف الأسمى والغاية العظمى من هذا الكتاب السماوي هو الاهتداء بهديه وسلوك طريقه. وذلك لا يتأتى إلا بتعلمه وهضم أفكاره وفهم معانيه وتدبر مطالبه والخوض في مدلولاته ومفاهيمه واستخراج حكمه وأحكامه. والآيات القرآنية التي تحث على التدبر والتفكر في كتاب الله، وعلى العناية به فقها وفهما وتفسيرا ودراية وتعلما ودراسة كثيرة جدا، وكذلك الأحاديث النبوية القولية منها والفعلية والتقريرية.

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية إذ لفت النظر إلى هذا الجانب بقوله:

"…. العادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحونه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم؟".

ولذلك اهتم به أهل الإسلام من عهدهم الأول، فسعوا – إلى جانب حفظه وتلاوته – إلى فهم معانيه وتدبر آياته أيضا. يقول التابعي الجليل أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله: حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها، حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا.

ونحن في الحقيقة وقعنا في التفريط في موضوع فهم القرآن وتدبره واستخراج معانيه وأحكامه. وينصبّ جل اهتمامنا بهذا الكتاب على تلاوته وحفظه. ولا شك أنه يثلج صدورنا وجود دور تحفيظ القرآن الكريم ومراكزه في المجتمعات الإسلامية، ولكن في الوقت نفسه نشكو من قلة معاهد تفهيم القرآن وشرحه وبيانه، مع أنه المقصود الأعظم والهدف الأساسي لهذا الكتاب.

وهكذا الوضع بالنسبة للتفاسير والمؤلفات القرآنية، فبإمكانك أن تقيس أيها القارئ الكريم هذه المؤلفات الشارحة للقرآن الكريم الموجودة المتوفرة بذلك الكم الهائل من المصحف الشريف الذي تخرجه مطابعنا ومكتباتنا، ويقوم بتوفيره وتوزيعه أهل الخير والمراكز الإسلامية في العالم الإسلامي.

وقد ذكر أحد الدعاة المهتمين بالموضوع أن هناك (٦٧٧٢) لغة تستخدم في العالم، وتوجد ترجمات الإنجيل في (٤٣٣٦) لغة، أما كتاب الله القرآن فلم يترجم إلا في (٦٤٤) لغة فقط، ويتواجد – فعلا – تراجم نحو (٣٠٠) لغة فقط في الأسواق.

وهذه الأعداد قد لا تكون دقيقة، ويمكن أن يكون قد حصل فيها بعض الإضافات، ومع ذلك فهي تلقي بعض الضوء على التفريط الذي صدر منا في حق كتاب الله عز وجل.

هذا القرآن أنزله الله لهداية كافة البشرية، ودعوته عامة لجميع الناس، ونحن مكلفون بإبلاغ هذه الدعوة إلى هؤلاء في مشارق الأرض ومغاربها باعتبارنا "خير أمة أخرجت للناس" و "شهداء على الناس". وهذه المسؤولية لا تتأدى بتوفير نسخ المصحف الشريف وتوزيعها على الناس، بل تتطلب منا أن نقوم بإيصال هذه الدعوة إلى الأمم عبر لغاتها التي تنطقها وتتفاهم فيها، فالله عز وجل يقول: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم} ويكون ذلك كذلك عبر الوسائل المستخدمة في المجتمعات، من المطبوعة والمسموعة والمرئية وكذلك كافة وسائل الاتصال الحديثة.

وليس الأمر بالنسبة للمسلمين على ما يرام. فحفاظ كتاب الله وقراؤه وأئمة المساجد الذين يتوقع منهم أن يكونوا على علم وبصيرة بمعاني القرآن ومدلولاته لإلمامهم بلغته ودراستهم لتعاليمه وأحكامه، لكن يرى أن هؤلاء قد يقعون في أخطاء عند قراءة القرآن داخل الصلاة أو خارجها في الوقف والابتداء، وفي اختيار الآية التي يبدءون بها أو ينتهون عندها. نعم، قد اطلعت شخصيا على أمثلة غير قليلة من هذا النوع من الأخطاء التي ارتكبها كبار أئمة المساجد وصغارهم، سامحهم الله. وهذا يدل على قلة الاعتناء برسالة القرآن ومفهومه ومدلوله، والاكتفاء بالنظر إلى حروفه وكلماته.

فإذا كان هذا حال خواصنا فبإمكاننا أن نقيس على ذلك حال عوامنا، الذين لم يتيسر لهم الاعتناء بدراسة القرآن وفهمه، وبذل الجهد في الانتهال من منهله، سوى تلاوته وترديد حروفه وكلماته. ماذا نتوقع منهم في هذا الخصوص؟ وهل هم المسؤولون فقط في هذا التقصير، أم يقع بعض مسؤوليته على عواتق أهل العلم والدعوة أيضا؟

لنأخذ على سبيل المثال سورة الفاتحة، هذه السورة العظيمة التي يرددها كل مسلم (١٧) مرة على الأقل كل يوم، لو صلى الصلوات الخمس المفروضة فقط. والمحافظون على الفرائض والنوافل، الذين ربما رددوا حروف هذه السورة وكلماتها بمئات الآلاف، وربما بالملايين، كم منهم من يعي ولو بالمعنى العام الإجمالي لهذه السورة، خاصة في المجتمعات التي لا تنطق بالضاد. فهذا المسلم الذي تجري سورة

الفاتحة على لسانه يوميا بعشرات المرات، ويكرر النطق بقوله سبحانه: {إياك نعبد وإياك نستعين} يخرج من المسجد ويذهب إلى المقبرة ويخضع للمقبور ويناديه ويستعين به ويستغيثه. هل كان ذلك يكون لو أنه وعى بمدلول الآية الكريمة المذكورة التي تجري على لسانه جريان الدم في العروق.

وهذا المثال الواحد يكفي لمعرفة مدى التقصير الذي يقع فيه العامة والخاصة والدعاة والمدعوون من كتاب الله العزيز. ففي هذا الشهر الكريم الذي تتجدد فيه ذكرى نزول القرآن، ويكون فيه إقبال أهل الملة عليه أكثر من أي وقت آخر، وتكون النفوس مهيأة للارتواء من منهله، تتضاعف مسؤولية الأئمة والدعاة، وتتطلب منهم جهودا أكبر من أي وقت مضى. لأن الفراغ كبير، لا يمكن سده بالأعمال الروتينية ولا بالخطب الرنانة والمواعظ الحماسية. بل يحتاج أولا إلى تلمس مواضع الخلل وأسبابه وملابساته، ثم التخطيط الدقيق لتدارك الوضع وسد الخلل، وكذلك اختيار الوسائل والطرق المناسبة، وبعده التنفيذ بحكمة وروية ويقظة وبصيرة.

ويحلو لي أن أختم هذه السطور بكلمة قيمة لأحد أعلام الأمة وهو الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني مؤلف "مناهل العرفان في علوم القرآن". يقول رحمه الله في معرض كلامه عن أهمية فهم القرآن وضرورة تفسيره:

"نهضة الأفراد والأمم لا يمكن أن تكون صحيحة عن تجربة، ولا سهلة متيسرة، ولا رائعة مدهشة، إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن ونظمه الحكيمة التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشري على ما أحاط به علم خالقه الحكيم، وبدهي أن العمل بهذه التعاليم لا يكون إلا بعد فهم القرآن وتدبره، والوقوف على ما حوى من نصح ورشد، والإلمام بمبادئه عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه البارع المعجز .... فالتفسير هو مفتاح هذه الكنوز والذخائر التي احتواها هذا الكتاب المجيد النازل لإصلاح البشر وإنقاذ الناس وإعزاز العالم.

وبدون التفسير لا يمكن الوصول إلى هذه الكنوز والذخائر، مهما بالغ الناس في ترديد ألفاظ القرآن، وتوفروا على قراءته كل يوم ألف مرة بجميع وجوهه التي نزل عليها.

وهنا تلمح السر في تأخر مسلمة هذا الزمن على رغم وفرة المصاحف في أيديهم، ووجود ملايين الحفاظ بين ظهرانيهم، وعلى رغم كثرة عددهم، واتساع بلادهم في حين أن سلفنا الصالح نجحوا بهذا القرآن نجاحا مدهشا كان وما زال موضع إعجاب التاريخ والمؤرخين، مع أن أسلافنا أولئك كانوا في قلة من العدد، وضيق من الأرض، وخشونة من العيش، ومع أن نسخ القرآن ومصاحفه لم تكن ميسورة لهم، ومع أن حفاظه لم يكونوا بهذه الكثرة الغامرة .... .

أما غالب مسلمة اليوم، فقد اكتفوا من القرآن بألفاظ يرددونها وأنغام يلحّنونها، في المآتم والمقابر والدور، وبمصاحف يحملونها أو يودعونها تركة في البيوت. ونسوا أن بركة القرآن العظمى إنما هي في تدبره وتفهمه، وفي الجلوس إليه والاستفادة من هديه وآدابه، ثم في الوقوف عند أوامره ومراضيه، والبعد عن مساخطه ونواهيه. والله تعالى يقول: {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب} ويقول سبحانه: {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها} ويقول جل ذكره: {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر}.

فما أشبه المسلمين اليوم بالعطشان يموت من الظمأ والماء بين يديه، والحيوان يهلك من الإعياء والنور من حوله يهديه السبيل لو فتح عينيه. {ذلك هو الخسران المبين} .... انتهى.

أرى أن هذه الكلمات كافية للتدليل على ما أشرت إليه في الصفحات السابقة. والله تعالى أسأل أن يلهمنا رشدنا، ويهدينا إلى الحق والصواب، وإلى أداء ما يجب علينا من الفرائض تجاه هذا الكتاب. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

❖❖❖

الزكاة

الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله

(الزكاة) قال الحافظ: هي الركن الثالث من الأركان التي بني الإسلام عليها، وهو أمر مقطوع به في الشرع، يستغني عن تكلف الاحتجاج له، وإنما وقع الاختلاف في بعض فروعها. وأما أصل فرضية الزكاة فمن جحدها كفر - انتهى.

وهي في اللغة: النماء أي الزيادة والتطهير. والزكاة موجبة لنماء المال وطيبه وطهارته، ونماء أجر صاحبه وطهارته من الذنوب. وتطلق على المال المؤدى، وعلى أدائه على الوجه المخصوص المعتبر في الشرع. والأصل في شرعية الزكاة والصدقة: مرعاة الفقراء ومواساتهم.

قال ابن دقيق العيد: الزكاة في اللغة لمعنيين: أحدهما النماء، والثاني الطهارة، فمن الأول قولهم: زكى الزرع، ومن الثاني قوله تعالى: {وتزكيهم بها - التوبة: ١٠٣} وسمي هذا الحق زكاة بالاعتبارين: أما الاول فبمعنى أن يكون إخراجها سببا للنماء في المال كما صح ما نقص مال من صدقة، وجه الدليل منه أن النقصان محسوس بإخراج القدر الواجب، فلا يكون غير ناقص إلا بزيادة تبلغه إلى ما كان عليه على المعنيين جميعاً أعني المعنوي والحسي في الزيادة أو بمعنى أن متعلقها الأموال ذات النماء (كالتجارة والزراعة) أو بمعنى تضعيف أجورها، كما جاء أن الله يربي الصدقة حتى تكون كالجبل، وأما بالمعنى الثاني فلأنها طهرة للنفس من رذيلة البخل، أو لأنها تطهر من الذنوب، وهذا الحق أثبته الشارع لمصلحة الدافع والآخذ معا. أما في حق الدافع فتطهيره وتضعيف أجوره. وأما في حق الآخذ فلسد خلته - انتهى.

وقال الشامي: ولها معان أخر: البركة. يقال: زكت البقعة إذا بورك فيها، والمدح يقال: زكى نفسه إذا مدحها، والثناء الجميل يقال: زكى الشاهد إذا أثنى عليه،

وكلها توجد في المعنى الشرعي، لأنها تطهر مؤديها من الذنوب ومن صفة البخل، والمال بإنفاق بعضه، ولذا كان المدفوع مستقذراً، فحرم على آل البيت. خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها، وتنميه بالخلف، وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ويربي الصدقات، وبها تحصل البركة، لا ينقص مال من صدقة، ويمدح بها الدافع ويثنى عليه بالجميل، والذين هم للزكاة فاعلون، قد أفلح من تزكى وهي شرعا على مذهب الحنفية: تمليك جزء مال عينه الشارع من مسلم فقير غير هاشمي ولا مولاه مع قطع المنفعة عن المملك من كل وجه لله تعالى، كذا في الدر المختار.

وقال ابن العربي: تطلق الزكاة على الصدقة (الواجبة والمندوبة) وعلى الحق والنفقة والعفو عند اللغويين، وهي شرعا إيتاء جزء من النصاب الحولي إلى فقير ونحوه غير هاشمي. ثم لها ركن وسبب وشرط، وحكم وحكمة، فركنها جعلها لله تعالى بالإخلاص وسببها المال. وشرطها نوعان: شرط السبب، وشرط من تجب عليه، فالأول ملك النصاب الحولي، والثاني العقل والبلوغ والحرية. وحكمها سقوط الواجب في الدنيا، وحصول الثواب في الآخرة. وحكمتها كثيرة: منها التطهير من أدناس الذنوب والبخل، ومنها ارتفاع الدرجة والقربة، ومنها الإحسان إلى المحتاجين، ومنها استرقاق الأحرار، فإن الانسان عبيد الإحسان – انتهى. قال الحافظ: هو جيد، لكن في شرط من تجب عليه اختلاف – انتهى. وإن شئت الوقوف على مصالح فرضية الزكاة والحكم المرعية في وجوبها في الأصناف الأربعة دون غيرها من المال، واختلاف مقاديرها وتعيين النصاب في أنواع المال، فعليك أن ترجع إلى كتب أسرار الشريعة مثل حجة الله البالغة (ج٢ ص ٢٩، ٣٠) للشاه ولي الله الدهلوي، والهدى (ج١ ص ١٥١، ١٥٢) والاعلام (ج١ ص ١٨٢ - ١٨٣) للامام ابن القيم. وأسرار الشريعة الإسلامية للشيخ إبراهيم آفندي.

واعلم أنه اختلف في أول وقت فرض الزكاة، فذهب الأكثر إلى أنه وقع بعد الهجرة، وقال ابن خزيمة في صحيحه: إن فرضها كان قبل الهجرة. واحتج بما أخرجه

من حديث أم سلمة في قصة هجرتهم إلى الحبشة، وفيها أن جعفر بن أبى طالب قال للنجاشي في جملة ما أخبر به عن النبى ﷺ: ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قال الحافظ: في استدلاله بذلك نظر، لأن الصلوات الخمس لم تكن فرضت بعد ولا صيام رمضان، فيحتمل أن تكون مراجعة جعفر لم تكن في أول ما قدم على النجاشى، وإنما أخبره بذلك بعد مدة قد وقع فيها ما ذكر من قصة الصلاة والصيام وبلغ ذلك جعفراً، فقال: يأمرنا بمعنى يأمر به أمته، وهو بعيد جدا. وأولى ما حمل عليه حديث أم سلمة هذا إن سلم من قدح في إسناده: أن المراد بقوله يأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام أي في الجملة ولا يلزم من ذلك أن يكون المراد بالصلاة الصلوات الخمس، ولا بالصيام صيام رمضان، ولا بالزكاة هذه الزكاة المخصوصة ذات النصاب والحول – انتهى.

واختلف الأولون فقيل: كان فرضها في السنة الثانية قبل فرض رمضان، أشار اليه النووي في الروضة، وجزم ابن الأثير في التأريخ بأن ذلك كان في التاسعة. قال الحافظ: وفيه نظر، لأنها ذكرت في حديث ضمام بن ثعلبة، وفي حديث وفد عبد القيس، وفي عدة أحاديث، وكذا في مخاطبة أبي سفيان مع هرقل، وكانت في أول السابعة. وقال فيها بأمرنا بالزكاة، ووقع في تأريخ الإسلام في السنة الأولى فرضت الزكاة . قلت: قال الحافظ ابن كثير في تفسير المزمل تحت قوله تعالى: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة – المزمل: ٢٠} وهذا يدل لمن قال بأن فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة - والله أعلم.

وقال القارئ: المعتمد أن الزكاة فرضت بمكة إجمالا، وبينت بالمدينة تفصيلا، جمعا بين الآيات التي تدل على فرضيتها بمكة وغيرها من الآيات والأدلة - انتهى. قلت: وهذا هو الراجح، بل هو المتعين عندي، والله تعالى أعلم: قال الشيخ محمد الخضري في تاريخ الأمم الإسلامية: مما فرض بمكة الزكاة، فإنا قلما نجد من

الأوامر المكية ذكر الصلاة إلا وبجانبه إيتاء الزكاة. وطلبت زكاة ما يخرج من الأرض في سورة الانعام {وآتوا حقه يوم حصاده – الانعام: ١٤١} إلا أن هذه الحقوق الواجبة لم تفصل بمكة، فقد كان ذلك موكولا لما في النفوس من الجود وبحسب حاجة الناس.

وقال صاحب تفسير المنار فرضت الزكاة المطلقة بمكة في أول الاسلام، وترك أمر مقدارها ودفعها إلى شعور المؤمنين وأريحيتهم، ثم فرض مقدارها من كل من أنواع الأموال في السنة الثانية من الهجرة على المشهور. وقيل: في الأولى، ذكره الذهبي في تأريخ الاسلام، وكانت تصرف للفقراء، كما قال تعالى في سورة البقرة: {إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خيرلكم - ٢٧١} وقد نزلت في السنة الثانية، وكما قال النبي ﷺ لمعاذ: توخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، ثم نزلت هذه المصارف السبع أو الثمان في سنة تسع، فتوهم بعض العلماء أن فرض الزكاة كانت في هذه السنة، قال: والحكمة فيما ذكر: أن تعيين المقادير، وقيام أولي الأمر بتحصيلها وتوزيعها على من فرضت لهم، وتعدد أصنافهم: كل ذلك إنما وجد بوجود حكومة إسلامية تناط بها مصالح الأمة في دينها ودنياها في دار تسمى دار الإسلام، لأن أحكامها تنفذ فيها بسلطانه، وكانت أول دار الإسلام دار الهجرة، إذ كانت مكة دار كفر وحرب لا ينفد فيها للإسلام حكم، بل لم يكن لأحد من أهله فيها حرية الجهر بالصلاة إلا بحماية قريب أو جار من المشركين. انتهى.

(مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٦ / ١ – ٣)



مقترحات في رمضان

الشيخ الدكتور محمد الحمود النجدي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

وبعد: فهذه جملة من المقترحات، تساعد على تهيئة النفس والبيت والمسجد، لاستقبال شهر رمضان المبارك، الذي نسأل الله أن يبارك لنا ولجميع المسلمين فيه، وأن يعيننا على صيامه وقيامه، إنه على كل شيء قدير.

وقد جعلناها مقسمة، فبدأنا بالإنسان نفسه ثم البيت ثم المسجد.

أولا: الإنسان في خاصة نفسه:

١ - العزم على التوبة من جميع الذنوب والخطايا في شهر التوبة والمغفرة والرحمة، فأبواب الجنان مفتوحة، وأبواب الجحيم مغلقة، والشياطين مقيدة.

فمن لم يتب في رمضان فمتى يتوب؟! ومن لم يطلب رضا الله تعالى فيه فمتى يطلبه؟!

فعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أتاني جبريل فقال: يا محمد، من أدرك رمضان فلم يغفر له، فأبعده الله، فقلت: آمين". رواه ابن حبان وغيره.

٢ - إخلاص العمل لله عز وجل في هذا الشهر المبارك، واحتساب الأجر من الله تعالى، في الصيام والقيام وقراءة القرآن، وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك خصوصا

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه".

وقال: "من قام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه" متفق عليهما.

٣ – استشعار نعمة الله سبحانه بقدوم هذه المواسم المباركة علينا ونحن على قيد الحياة، شهر تفتح فيه أبواب الجنة والخيرات والبركات، وتغلق فيه أبواب النار والعقوبات، وتسلسل فيه الشياطين ومردة الجن. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم رمضان فيقول: "قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم". رواه أحمد (٢ / ٢٣٠) والنسائي (٤ / ١٢٦ – ١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ابن رجب: قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان. (لطائف المعارف ص ٢٧٩).

٤ – العلم بأن رمضان ميدان المنافسة على الخيرات الكثيرة المتنوعة، كالرحمة والمغفرة والدرجات والحسنات وإجابة الدعوات والعتق من النار.

٥ – إعداد المصحف الخاص بك، والمكان المناسب الهادئ، ومحاولة التفرغ والانقطاع فيه كل يوم عن الشواغل، للتلاوة والقراءة والتدبر.

٦ – اختيار كتاب من كتب التفسير المختصر والميسر، كـ "تفسير السعدي"، أو "زبدة التفسير" للأشقر رحمهما الله، أو "أيسر التفاسير" للجزائري، للرجوع إليه عند الفراغ من قراءة الآيات.

٧ – ومما ذكره بعض أهل العلم: أن يخصص الإنسان لنفسه تلاوتين في رمضان:

الأولى: تلاوة تدبر، وذلك بقراءة جزء واحد في كل يوم بتدبر وتأمل، ويقف عند عجائبه وآياته.

الثانية: تلاوة أجر وثواب، وهي التي تكون فيها القراءة للآيات بقصد الختمة، وابتغاء الأجر والثواب.

٨ – تعويد النفس على الدعاء ورفع اليدين في الزمان الفاضل، والوقت المستحب، ووقت الصيام من الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء، كما في قوله صلى

الله عليه وسلم: "ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر" روه البيهقي في شعب الإيمان.

وكذا أوقات قيام الليل، خصوصا الثلث الأخير من الليل.

٩ – تعويد النفس على الجلوس في المسجد أدبار الصلوات، ولاسيما صلاتي الفجر والعصر، للاستفادة من الوقت بالقراءة.

١٠ – تعويد النفس على الصدقة والبذل والعطاء، وشهر رمضان هوشهر إطعام الطعام، بتفطير الصائمين، وإطعام الفقراء والمساكين، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان، حتى يكون أجود بالخير من الريح المرسلة بالغيث.

١١ – الحرص على تحفيز النفس في رمضان، ومضاعفة العمل الصالح فيه، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في رمضان، ما لا يجتهد في غيره، كما تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والحديث في صحيح مسلم، وهكذا كانت حياة السلف وحالهم في رمضان، من الجد والاجتهاد والعمل الدؤوب فيه.

١٢ – الاستماع إلى المحاضرات والدروس في المساجد والحرص عليها، وكذا ما يسر الله لنا في الزمن من الدروس النافعة في الفضائيات، وكذا الأشرطة، وقراءة الكتب والمطويات الخاصة بذلك.

١٣ – تعويد النفس على قيام الليل والتهجد في رمضان، وبعد رمضان ولو بركعتين، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم". رواه أحمد والترمذي والحاكم، ونحوه عن بلال وسلمان رضي الله عنهما. وذلك بالزيادة في التهجد والوتر.

ثانيا: في البيت:

١ – توفير المصحف وحامل المصاحف، لجميع أفراد الأسرة، لتشجيعهم على القراءة والتلاوة في شهر رمضان شهر القرآن، قال ربنا سبحانه في فضل هذا الشهر:

{شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان} (البقرة: ١٨٥).

٢ – تخصيص مصلى في المنزل، لصلاة أهل البيت فيه، وقراءتهم للقرآن فيه، وهو من السنن المهجورة، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه أمر ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف وتطيب". رواه أبوداود والترمذي.

قال بعض العلماء: المراد اتخاذ بيت في الدار للصلاة فيه كالمسجد، يصلي فيه أهل البيت ويقصدونه عند الصلاة.

وقيل: المقصود بالدور: القبائل والأحياء.

٣ – التحدث مع أفراد الأسرة صغارا وكبارا عن رمضان وفضله وأحكامه وأعماله، وكيفية الاستعداد له بالنية والقول والعمل.

٤ – شراء الأشرطة والمطويات والكتب الخاصة برمضان، وتوزيعها على العائلة، ومحاولة عمل مسابقات عائلية خاصة برمضان، لتثبيت المعلومات.

٥ – تجهيز المنزل بما يتطلبه من المأكولات والمشروبات الرمضانية الصحية، ولاسيما الرطب والتمر، مع البعد عن الإسراف المذموم.

٦ – العزم على مقاطعة ما تبثه وسائل الإعلام الهابطة في رمضان، والإعراض عن مشاهدة المسلسلات والأفلام، وما فيها من نساء متبرجات، ومناظر مخلة بالآداب الشرعية، منافية لحرمة الشهر الفضيل، ومذهبة لأجر الصائم القائم، وهي مما يسرق الأجور والأوقات؟!

وهكذا البعد عن متابعة مباريات الكرة واللعب، أو السهر على لعب الورق ونحوه؟! مما لا يليق بفضل هذا الشهر المبارك؟

٧ – تنسيق وتوزيع الأعمال المنزلية بين أهل البيت، في الخدمة وإعداد الطعام، وترتيب البيت وتنظيفه وغيره، حتى تجد ربة المنزل وقتا للطاعة والعبادة، وتنال نصيبها من العبادة والخير والأجر.

٨ – تنسيق برامج الزيارات العائلية، والاستضافات الرمضانية مع الأهل والجيران والأصدقاء، لئلا يذهب وقت رمضان بالسهر والحديث فيما لا ينفع، وتضيع الليالي سدى.

٩ – محاولة إعداد رحلة عائلية للعمرة، فإن العمرة في رمضان تعدل حجة، أو حجة مع النبي صلى الله عليه وسلم كما صح ذلك في الحديث النبوي الشريف.

١٠ – حث الأهل والأولاد والأقرباء والأصدقاء على الاعتكاف في المسجد القريب من البيت، فإن الاعتكاف سنة نبوية مؤكدة، لمن قدر عليها، ولو يوما واحدا، أو ليلة واحدة، سواء في أول الشهر، أو في العشر الأواخر.

١١ – المشاركة في إعداد طبق يومي يتصدق به أو يهدي للجيران والأصدقاء، ولو كان شيئا يسيرا، فيهدي وجبة إفطار للصائمين في المسجد مثلا، أو من يعرف من المحتاجين، بالإضافة للجيران.

١٢ – عمل مسابقة في حفظ أحاديث كتاب الصيام، من كتب الحديث، مثل كتاب "بلوغ المرام" أو كتاب "رياض الصالحين" للنووي.

ثالثا: في المسجد:

١ – أن يجتهد الإمام في المواظبة على مسجده، بالقيام بجميع الفروض طيلة أيام الشهر قدر الإمكان، والحرص على إسماع المصلين كتاب الله تعالى، وتذكيرهم بالمواعظ والدروس، ومتابعة الأنشطة المتنوعة في المسجد.

٢ – الاهتمام بإصلاح وإعداد كل مرافق المسجد، من تكييف أو تدفئة، وإنارة داخلية وخارجية، وصيانة لدورات المياه وتنظيفها، وما تحتاجه من الماء والمناديل الورقية، وملاحظة ما يلزم تغييره من الفرش والسجاد، والاهتمام بالطيب والبخور، وفحص مكبرات الصوت الداخلية والخارجية وغير ذلك.

٣ – حث أهل المسجد على بذل الصدقات، وإطعام الطعام، من إفطار الصائم بالمسجد وغيره، والتبرع للمشاريع الخيرية المختلفة، وكفالة الأسر الفقيرة، وكفالة

اليتيم، وبناء المساجد، وطباعة المصاحف، ونشر الكتب الشرعية، وحفر الآبار وغيرها باللجان الخيرية والهيئات الإغاثية.

فرمضان شهر الصدقة والجود والكرم والعطاء.

٤ – استضافة بعض العلماء والدعاة وطلبة العلم إلى المسجد، لإلقاء الدروس والكلمات والمواعظ قبل رمضان وأثناءه، لتعريف الناس بدينهم عامة، وفضائل وأحكام شهرهم خاصة، والإجابة عن أسئلة المصلين.

٥ – اختيار الإمام كتابا مناسبا لأهل المسجد، وقراءته عليهم بعد إحدى الصلوات، مثل كتاب التوحيد، أو الإرشاد في الاعتقاد للفوزان، أو كتاب رياض الصالحين للنووي، أو الملخص الفقهي، أو تفسير لجزء عم من تفسير السعدي أوزبدة التفسير وغيرها من الكتب النافعة.

فإن شهر رمضان فرصة لا تعوض للالتقاء بالناس، وأهل المسجد خاصة، والتحدث معهم، حيث إن أغلبهم يجلس بعد صلاة العصر، فمن المناسب إلقاء كلمة توجيهية أو موعظة، أو بيان حكم شرعي، أو التحذير من معصية أو منكر محرم ونحوها من أبواب العلم.

٦ – إعداد المسابقات اليومية والأسبوعية لجماعة المسجد، ورصد الجوائز التشجيعية للمشاركين، تشجيعا لهم على حفظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وطلب العلم الشرعي والبحث والدراسة.

٧ – تخصيص لجنة من شباب المسجد، تقوم بإعداد وجبة إفطار للصائمين، والإشراف عليها.

٨ – توزيع الرسائل والكتب النافعة، والأشرطة المفيدة، على جماعة المسجد، وأهل الحي، ووضع النسخ المجانية للتوزيع بالمسجد، وحث الناس على قراءتها، والاستفادة منها.

٩ – إعداد برامج للجاليات المترددة على المسجد، من إقامة لدروس وعظية وتعليمية، وتوزيع لمطويات وأشرطة وغيرها.

١٠ – تخصيص بعض الليالي من الشهر الفضيل، ويجتمع فيها الإمام مع جماعة المسجد للإفطار أو السحور للتواصل معهم، فيأتي كل واحد منهم بشيء من زاده، ويجتمعون عليه في المسجد، لأجل زيادة الألفة والتحاب والتواد بين أهل المسجد.

١١ – الحرص على أن يختم الإمام القرآن الكريم في صلاته، ولو ختمة واحدة، في صلاة التراويح والقيام، ليسمع أهل المسجد كتاب الله تعالى كاملا، فهو منهاجهم الذي يسيرون عليه في حياتهم كلها، وكتاب عقيدتهم، وفيه جميع ما يحتاجون إلى معرفته من أحكام دينهم ودنياهم وأخراهم.

١٢ – إعداد برنامج لجمع الزكاة وتوزيعها على فقراء الحي وغيرهم، وكذلك زكاة الفطر.

وإذا كان هناك جمعية خيرية قائمة بذلك، فإنه يتعاون معها لجمع الزكاة وإيصالها لمستحقيها.

١٣ – إعداد برنامج لعيد رمضان، مثل اجتماع أهل المسجد والجيران بعد صلاة العيد في المسجد، لتبادل التهنئة بالعيد، وتقوية الروابط الأخوية بينهم، وتناول بعض الطعام أو الحلوى.

هذه بعض الأعمال والأنشطة المقترحة لشهر رمضان، ويمكن إضافة ما هو مفيد ونافع للناس بحسب الأحوال والبلاد.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(مع الشكر لمجلة الفرقان الكويتية)

❖❖❖

الشهر المبارك

شهر الخير والنصر

تي.أمين أحمد العمري
جامعة مدراس

قد من الله علينا بشهر رمضان الكريم، وموسم الخيرات، ويستقبله المسلمون بفائق العناية والاحترام في أنحاء العالم، وهو شهر المغفرة والرحمة والصبر والمواساة والعبادة، كفى به فضلا وشرفا بأن اختاره الله من بين الشهور لإنزال القرآن العظيم كما يدل عليه قوله تعالى: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينت من الهدى والفرقان} [١]، وإضافة إلى ذلك هو شهر تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب جهنم، وتصفد فيه الشياطين، وينزل فيه ملكان يقول الأول: "يا باغي الخير أقبل" ويقول الثاني: "يا باغي الشر أقصر" [٢].

يشهد التاريخ الإسلامي على أن شهر رمضان لم يكن شهر صوم وصلاة فحسب، بل كان شهر الفتوحات والجهاد والتضحية، انتهز النبي صلى الله عليه وسلم رمضان للغزوة وفتح البلاد والقيام بالأعمال الجسيمة، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم المجاهدين في رمضان، روي أنه غزا ست غزوات. وهذه الشواهد التاريخية كلها تدل على أن رمضان كان على مر التاريخ شهر عمل وانتصارات، ولم يمنع الصوم المسلمين من المشاركة في الغزوات وفتح البلاد وخدمة العلوم، ولم يكن الصوم من أسباب الضعف والهوان، بل كان مصدرا للقوة البدنية والروحية.

لقد ذكر أهل السير الأحداث العظيمة الواقعة في شهر رمضان يضيق المكان عن ذكرها، وها أنا أكتفي ببعضها فيما يلي:

---

[١] سورة البقرة:١٨٥.

[٢] أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه بسند صحيح، برقم١٣٣١.

١- **بداية الوحي:** ابتدأ نزول الوحي في رمضان [١]، ونزول الوحي من أعظم الأحداث، لأن محمد بن عبد الله أصبح خاتم الأنبياء وسيد الرسل، وقام بعبء إصلاح الأمة وإنقاذها من ظلمات الشرك والبدع.

٢- **فتح مكة:**

في اليوم الحادي والعشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة أنعم الله على رسوله وعلى المؤمنين بفتح مكة، وهو الفتح الأعظم وهو فتح الفتوح، حيث دخل الناس في دين الله أفواجا واعتنق عدد كبير من قادة المشركين الإسلام [٢].

فتح مكة من أعظم الأحداث التاريخية الواقعة في شهر رمضان حيث انتشر فيه نور التوحيد في أنحاء العالم، وانتهت دولة الشرك، وخضعت جزيرة العرب للحكم الإسلامي ورفعت فيها راية التوحيد، وحطمت الأصنام وطهر البيت. وبدأت ترتفع منه كلمة التوحيد كل يوم خمس مرات.

٣- **هدم الأصنام ومسجد الضرار:**

في رمضان من العام الثامن للهجرة بعث الرسول صلى الله عليه الصلاة والسلام عدة سرايا لهدم الأصنام الشهيرة، فبعث خالد بن الوليد لهدم العزى وعمرو بن العاص لهدم سواع وسعد بن زايد لهدم مناة، فأدى كل منهم مهمته بنجاح. وقام بهدم مسجد الضرار، وهو مسجد بجوار قباء بناه المنافقون مضاهاة لمسجد قباء لإضرار المسلمين وتفريق كلمتهم وجماعتهم [٣].

٤- **اعتناق وفد ثقيف الإسلام:**

في رمضان من السنة التاسعة قدم وفد ثقيف إلى المدينة، واعتنقوا الإسلام على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأدوا الفرائض وصاموا رمضان مع المسلمين في المدينة. [٤]

---

[١] انظر صحيح البخاري ٣/١.

[٢] انظر السيرة النبوية لابن كثير:١٩٣/٦.

[٣] انظر السيرة النبوية لابن كثير٤٧/٧.

[٤] انظر الرحيق المختوم ١٤٤/١.

الفتوحات في رمضان:

أ. فتح عمورية في رمضان: وقعت هذه المعركة بين المسلمين بقيادة المعتصم الخليفة العباسي وبين الروم، وذلك بعد أن استنجدت امرأة بالمعتصم فصرخت "وامعتصماه" فسمع المعتصم بالخبر وجهز جيشا وفتح عمورية. [1]

ب. القادسية: في رمضان ١٥هـ كانت موقعة القادسية التي انتصر فيها المسلمون على أكبر الامبراطوريات، وتم القضاء على المجوسية بفارس.

ج. فتح الأندلس: فتح المسلمون الأندلس بقيادة طارق بن زياد ، وفتح القائد صلاح الأيوبي عدة مدن في بلاد الشام .... تطول أسماء البلاد المفتوحة ويضيق المكان عن ذكرها

وبالإضافة إلى الفتوحات والغزوات، اشتغل المسلمون بالتصنيف والتأليف في شهر رمضان، ومن المؤلفات القيمة التي ألفت في شهر رمضان ما يأتي:

١. مشكاة المصابيح للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي:

يعد مشكاة المصابيح من أهم وأحسن كتب الحديث لا يخلو معهد ديني إلا يدرس فيه هذا الكتاب ويمتاز هذا الكتاب بحسن الترتيب والاختصار.

٢. جواهر الفقه في العبادات لقاسم بن أحمد الأنصاري الخوارزمي الحنفي:
وهو مختصر على عشرة أبواب، فرغ من تأليفه في رمضان ٧٧١هـ.

٣. مختار الصحاح: يعد مختار الصحاح من أحسن المعاجم، وهو مختصر مفيد وقد فرغ من تأليفه في رمضان ٦٠٠هـ.

تطول قائمة الأحداث المهمة التاريخية في شهر رمضان. وهي تنبئ أن شهر رمضان لم يكن شهر راحة واسترخاء، بل كان شهر عمل وانتصارات وتضحية، ولقد تحول اليوم شهر رمضان إلى شهر دعة وكسل وخمول، وموائد وطعام وتزاحم على ذلك، فينبغي لنا أن نسلك سبيل السلف ومنهجهم في تحويل شهر رمضان إلى شهر عمل وفتوحات وانتصارات.



[1] انظر البداية والنهاية ٣١٤/١٠.

أدب الصيام

(٢)

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

انتهينا – بتوفيق الله وعونه – من ذكر معنى الصوم، ووجوبه، وفضله، ومقصده، وما يتعلق به من معلومات مفيدة، وبدأنا بذكر آداب وأحكام الصيام سائلين المولى عز وجل التوفيق والسداد، والهداية والمعونة، إنه ولي ذلك.

من سنن السحور:

١ – يستحب لمن يريد أن يصوم أن يتسحر، لحديث أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تسحروا فإن في السحور بركة". [١]

٢ – يستحب أن يؤخر الرجل السحور إلى أن ينفلق الصبح لحديث صلة بن زفر، قال: تسحرت مع حذيفة، ثم خرجنا إلى المسجد فصلينا ركعتي الفجر، ثم أقيمت الصلاة، فصلينا". [٢]

٣ – أن يكون بين السحور وبين صلاة الصبح قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية، لحديث زيد بن ثابت، قال: تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلاة، قلت: كم كان بينهما؟ قال: قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية". [٣]

تعجيل الفطر:

٤ – يشرع للصائم أن يعجل الفطر لحديث أبي عطية قال: دخلت على عائشة – رضي الله عنها – أنا ومسروق فقلنا: يا أم المؤمنين، رجلان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أحدهما يعجل الإفطار ويعجل الصلاة، والآخر يؤخر الإفطار ويؤخر الصلاة، قالت: أيهما يعجل الإفطار ويعجل الصلاة؟ قلنا: عبد الله، قالت: كذلك

---

[١] رواه النسائي، ١٨ ، الحث على السحور، ٢١٤٦، صحيح.

[٢] رواه النسائي ٢٠ – تأخير السحور – ٢١٥٤ ، صحيح.

[٣] رواه النسائي ٢١ قدر ما بين السحور وبين صلاة الصبح ٢١٥٦، صحيح.

كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم" [١] ولحديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر". [٢]

٥ – ويستحب للصائم أن يفطر على التمر، فإن لم يجد فعلى الماء فإن الماء طهور، لحديث أنس بن مالك يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات، فعلى تمرات، فإن لم تكن حسا حسوات من ماء". [٣]

٦ – ويستحب للصائم أن يفطر إذا غربت الشمس، وتحقق غروبها، فعن عاصم بن عمر، عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا جاء الليل من ههنا، وذهب النهار من ههنا – زاد مسدّد – وغابت الشمس – فقد أفطر الصائم". [٤]

ما يقول إذا أفطر:

٧ – يشرع للصائم إذا أفطر أن يقول: "ذهب الظماء وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله" لحديث ابن سالم المقفع قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال: "ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله" [٥]، وأما ما يقال عند الإفطار من الذكر الآتي: "اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت" فهو حديث ضعيف ضعّفه الألباني. [٦]

٨ – يُشرع للرجل إذا أفطر ثم طلعت الشمس أن يقضي صومه لحديث أسماء بنت أبي بكر قالت: أفطرنا يوما في رمضان في غيم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم طلعت الشمس، قال أبو أسامة: قلت لهشام: أمروا بالقضاء؟ قال: وبد من ذلك؟ [٧]

---

[١] أبوداود ٢٠ باب ما يستحب من تعجيل الفطر ٢٣٥٤، صحيح.

[٢] البخاري، باب تعجيل الإفطار.

[٣] سنن أبي داود ٢١ باب ما يفطر عليه ٢٣٥٦، حسن صحيح.

[٤] سنن أبي داود ١٩ باب وقت فطر الصائم ٢٣٥١ صحيح.

[٥] سنن أبي داود ٢٢ باب القول عند الإفطار ٢٣٥٧، حسن.

[٦] انظر: صحيح سنن أبي داود ٤١٤.

[٧] سنن أبي داود ٢٣ باب الفطر قبل غروب الشمس ٢٣٥٩، صحيح.

ثواب من فطّر صائما:

٩ – يحسن بالمرء أن يفطر صائما ابتغاء للأجر، فعن زيد بن خالد الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من فطر صائما كان له مثل أجرهم، من غير أن ينقص من أجورهم شيئا". [(١)]

رؤية هلال رمضان:

١٠ – يجب صوم رمضان برؤية الهلال لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن أغمي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما". [(٢)]

الدعاء عند رؤية الهلال:

١١ – ويستحب لمن رأى الهلال أن يقول: "الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى، ربي وربك الله"، لحديث ابن عمر قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال قال: الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى، ربي وربك الله" [(٣)].

ماذا يفعل الرجل إذا سمع أذان الصبح وهو يأكل؟

١٢ – إذا سمع الرجل أذان الصبح وهو يأكل ويشرب فلا يدع حتى يفرغ من الأكل والشرب، لحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه" [(٤)].

ما يحرم للصائم:

١٣ – يحرم للصائم قول الزور والعمل به، وينبغي له أن يحرس صومه عن المكدرات، ويصونه من الرفث وفاحش الكلام والجهل والمخاصمة والمشاتمة والمقاتلة، كما ينبغي له أن يحفظ لسانه من الغيبة والنميمة والبهتان والكذب ويحفظ

[(١)] سنن ابن ماجه ٤٥ باب في ثواب من فطر صائما ١٧٤٦، صحيح.

[(٢)] صحيح البخاري.

[(٣)] ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٣٩) وقال: رواه الطبراني، وفيه عثمان بن إبراهيم الحاطبي وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات. انظر التعليق على "المغني" لابن قدامة: ٤ / ١١٩.

[(٤)] سنن أبي داود ١٨ باب في الرجل يسمع النداء والإناء على يده ٢٣٥٠ حسن صحيح.

كذلك أعضاءه وجوارحه الأخرى من الوقوع في الحرام، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه". [١]

وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله، أو شاتمه، فليقل: إني صائم". [٢]

ما يُفطر الصوم:

١٤ – ومن أكل أو شرب أو استعط أو احتقن أو داوى الجائفة بما يصل إلى جوفه أو اكتحل بما يصل إلى حلقه أو داوى المأمومة أو قطر في أذنه ما يصل إلى دماغه أو أدخل في جوفه شيئا من أي موضع كان أو استقاء أو استمنى أو قبل أو لمس فأمنى أو أمذى أو كرّر النظر فأنزل أو حجم أو احتجم عامدا ذاكرا لصومه فسد صومه، وإن كان مكرها أو ناسيا لم يفسد. [٣]

١٥ – إنه يفطر بكل ما أدخله إلى جوفه أو مجوف في جسده كدماغه وحلقه ونحو ذلك مما ينفذ إلى معدته إذا وصل باختياره وكان مما يمكن التحرز منه سواء وصل من الفم على العادة أو غير العادة كالوجور واللدود أو من الأنف كالسعوط أو يدخل من الأذن إلى الدماغ أو ما يدخل من العين إلى الحلق كالكحل أو ما يدخل إلى الجوف من الدبر بالحقنة أو ما يصل من مداواة الجائفة إلى جوفه أو من دواء المأمومة إلى دماغه فهذا كله يفطره، لأنه واصل إلى جوفه باختياره فأشبه الأكل. [٤]

١٦ – وما لا يمكن التحرز منه كابتلاع الريق لا يفطره لأن اتقاء ذلك يشق، فأشبه غبار الطريق وغربلة الدقيق. [٥]

١٧ – ولو استمنى بيده فقد فعل محرما ولا يفسد صومه بمجرده، فإن أنزل فسد صومه، لأنه في معنى القبلة في إثارة الشهوة، فأما إن أنزل لغير شهوة كالذي يخرج منه

---

[١] سنن أبي داود ٢٥ باب الغيبة للصائم ٢٣٦٢ حديث صحيح.

[٢] سنن أبي داود، ٢٥ باب الغيبة للصائم ٢٣٦٣ ، صحيح.

[٣] المغني لابن قدامة: ٤ / ١٥٤، طبع دار الحديث القاهرة.

[٤] المغني: ٤ / ١٥٦، ١٥٧.

[٥] المغني: ٤ / ١٥٩.

المني أو المذي لمرض فلا شيء عليه، لأنه خارج لغير شهوة أشبه البول، ولأنه يخرج عن غير اختيار منه ولا بسبب أشبه الاحتلام، ولو جامع بالليل فأنزل بعد ما أصبح لم يفطر، لأنه لم يتسبب إليه في النهار فأشبه ما لو أكل شيئا في الليل فذرعه القيء في النهار. [١]

١٨ – وإن ابتلع النخامة ففيها روايتان: إحداهما: يفطر، قال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: إذا تنخم ثم ازدرده أفطر لأن النخامة من الرأس تنزل والريق من الفم، ولو تنخع من جوفه ثم ازدرده أفطر، وهذا مذهب الشافعي، لأنه أمكن التحرز منها، أشبه الدم ولأنها من غير الفم أشبه القيء، والرواية الثانية: لا يفطر، قال في رواية المروزي ليس عليك قضاء إذا ابتلعت النخامة وأنت صائم، لأنه معتاد في الفم غير واصل من خارج أشبه الريق. [٢]

١٩ – فإن سال فمه دما أو خرج إليه قلس أو قيء فازدرده أفطر وإن كان يسيرا لأن الفم في حكم الظاهر، والأصل حصول الفطر بكل واصل منه لكن عفى عن الريق لعدم إمكان التحرز منه. فما عداه يبقى على الأصل، وإن ألقاه من فيه وبقي فمه بخسا أو تنجس فمه بشيء من خارج فابتلع ريقه، فإن كان معه جزء من المنجس أفطر بذلك الجزء وإلا فلا. [٣]

٢٠ – إذا دخل حلقه غبار من غير قصد كغبار الطريق ونخل الدقيق، أو الذبابة تدخل حلقه، أو يُرش عليه الماء فيدخل مسامعه أو حلقه، أو يلقى في ماء فيصل إلى جوفه، أو يدخل حلقه بغير اختياره، أو يداوى جائفته أو مأمومته بغير اختياره، أو يجحم كرها أو تقبله امرأة بغير اختياره فينزل وما أشبه ذلك لا يفسد صومه، لا نعلم فيه خلافا، لأنه لا يمكن التحرز منه أشبه ما لو دخل حلقه شيء وهو نائم، وكذلك الاحتلام، لأنه عن غير اختيار منه فأشبه ما ذكرناه. [٤]



[١] المغني: ٤ / ١٥٩.
[٢] المغني: ٤ / ١٦٠.
[٣] المغني: ٤ / ١٦١.
[٤] المغني ٤ / ١٦٣.

آفاق إسلامية

دُرَّة القلوب

الإخــــــلاص

أزهري أحمد محمود

الحمد لله المتفرد بالثناء وله الدين الخالص، وأصلي وأسلم على النبي محمد الهادي إلى المخالص وآله وصحبه المهتدين، ومن سلك سبيلهم المبين.

وبعد:

قف بنا أخي نعلل الأنفس المريضة، قف بنا نقوِّم القلوب الغليظة، قف بنا نهذّب المقاصد الرخيصة.

إنها أخي المسلم / سلعة المتقين ... وتجارة الفائزين .. وغنيمة المخبتين، .. قد سعوا نحوها بالإقدام، وواصلوا السير نحوها على السنين والأيام .. سلعة راجت عند الصادقين .. وكسدت في سوق الغافلين.

شجرة الصنوبر تثمر في ثلاثين سنة وشجرة الدباء تصعد في أسبوعين فتقول للصنوبر: إن الطريق التي قطعتها في ثلاثين سنة قطعتها في أسبوعين ويقال لي شجرة .. ولك شجرة !!

فقالت لها الصنوبرة: مهلا حتى تهب رياح الخريف فإن ثبت لها تم فخرك؟

ذلك مثل ضربه الحكماء (للإخلاص) أخي! تجارة النيات تجارة العلماء، فأين أنت أخي المسلم من هذه التجارة؟!

وإن كنت أخي ممن لا يعرفون حدودها وشروطها وربحها وخسارها. فها أنا أعرفك ذلك، مسترشدا بكلام المحققين. وعبارات العارفين. فخذ هذه أخي أولا ...قالوا:

(هو: إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة، هو: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين. هو: التوقي من ملاحظة الخلق حتى عن نفسك) (ابن القيم).

وقالوا: (الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله).

أخي المسلم / الإخلاص .. الإخلاص .. الصدق .. الصدق ..

{وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين} (البينة)، {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين} (الأنعام)، {ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا} (النساء).

أخي في الله! أتدري ما هو إسلام الوجه لله وهو محسن في قوله تعالى: {ممن أسلم وجهه لله وهو محسن}؟ هو: (إخلاص القصد والعمل لله و (الإحسان فيه) متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم وسنته) (ابن القيم).

أخي المسلم! إخلاصك .. صدقك مع الله دليل على حسن عملك .. {الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا} (الملك). يقول سيد الزهاد .. وزينة العباد الفضيل بن عياض: (هو أخلصه وأصوبه) .. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟

فقال: "إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة". ثم قرأ قوله تعالى: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا}.

أخي في الله! إلى الإخلاص .. إلى الإخلاص، فإنه رباط العمل وحصن القربات من الضياع {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا} (الفرقان).

أخي المسلم! أتدري أي أعمال هذه التي أصبحت هباء منثورا؟! هي: "الأعمال التي كانت على غير السنة أو أريد بها غير وجه الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه): "إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله تعالى إلا ازددت به خيرا ودرجة ورفعة" (ابن القيم).

أخي المسلم: ما أسعد أهل النيات الصادقة، وما أطيب عيشهم بالإخلاص .. أيعجزك أخي أن تعقد قلبك على فعل الصالحات .. وعمل المكرمات؟!

فها هو النبي صلى الله عليه وسلم يرجع من غزوة تبوك وقد حفّت به تلك الزمرة الطاهرة ... فيدنو الركب من المدينة الطاهرة .. طيبة .. طابة .. دار الإيمان .. فيقول وقتها صلى الله عليه وسلم: "إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم".

قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟!

قال: "وهم بالمدينة، حبسهم العذر" (رواه البخاري).

أخي! إنها نيات الصادقين .. وإخلاص المتقين .. وزفرات القانتين .. بلغوا بها درجات المجاهدين .. وارتقوا بها مدارج العاملين ..

أخي المسلم! قف .. واسمع عظة نبيك صلى الله عليه وسلم إن كنت من السامعين .. المستجيبين .. فهذا أبي بن كعب (رضي الله عنه) يصغي لهذه الوصية: "بشر هذه الأمة بالثناء والرفعة والدين والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب" (رواه أحمد).

أخي في الله! ما أتعس المرائين .. وما أبعد سعيهم .. وما أضل أعمالهم!! تعبوا في غير تحصيل .. وشقوا في غير تاميل.

أخي! "إذا لم تخلص فلا تتعب"، "كم بذل نفسه مراء ليمدحه الخلق فذهبت نفسه فانقلب المدح ذما!! ولو بذلها لله لبقيت ما بقي الدهر"، "عمل المرائي بصلة كلها قشور". المرائي يحشو جراب الزوادة رملا يثقله في الطريق وما ينفعه" (ابن القيم).

أخي المسلم! حديث سار في النار أي مسير .. حتى حفظه الكبير والصغير .. والوضيع والوزير ..

أتتذكر أخي هذا الحديث؟ إنه حديث: "إنما الأعمال بالنيات" (رواه البخاري ومسلم). ما أعظم هذا الحديث عند أهل الإخلاص .. وما أروعه عند تلك القلوب التي تعودت وصل الصالحات بالنيات . . حذرا على أعمالهم من الضياع والبيات .. ولشرف

هذا الحديث أخي ومنزلته لدى الصالحين، أما رأيت عبد الرحمن بن مهدي يقول: "لو صنفت كتابا في الأبواب لجعلت حديث عمر بن الخطاب في الأعمال بالنيات في كل باب".

أخي المسلم! صلاح القلوب بالإخلاص كصلاح الأرض بالغيث لا يدرك ذلك إلا أهل الإخلاص.

أخي! "فإن حقيقة العبد قلبه وروحه وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره وهي كادحة إليه كدحا فملاقيته ولابد لها من لقائه ولا صلاح لها إلا بلقائه" (ابن تيمية).

أخي المسلم! أما يستحي المرائي والله مطلع على قلبه، فكم هو قبيح أن تسجد لله والقلب معلق بغيره .. ظاهر العمل عبادة للخالق .. وباطنه تودد للمخلوق .. فما أنقص درجة هؤلاء المرائين المحرومين {لن ينال لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم} (الحج) وهذا أخي رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (رواه مسلم).

أخي في الله! ما أشد الإخلاص على الصادقين .. وما أعزه عند العابدين الواصلين المجتهدين .. طوّعوا له القلوب والجوارح .. وكدحوا في تحصيله لنيل الروابح .. وإن شئت فاسمع في هذا كلامهم ... لعلك تدرك آمالهم.

قال سفيان الثوري: "إن العبد ليعمل العمل في السر فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية".

وقال يحيى بن أبي كثير: "تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل" وقال ابن المبارك: "رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية".

وقال مطرف بن عبد الله: "صلاح القلب بصلاح العمل وصلاح العمل بصلاح النية".

وقال بعض السلف: "من سره أن يكمل له عمله فليحسن نيته فإن الله عز وجل يأجر العبد إذ حسن نيته حتى باللقمة".

أخي المسلم! لطالما جاهد العارفون نفوسهم .. وكم سلكوا بها ما تكره .. وفطموها عن محبوباتها .. واتهموها في أقوالها وأفعالها.

قال يوسف بن حسين الرازي: "أعز شيء في الدنيا الإخلاص وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي وكأنه ينبت فيه على لون آخر".

وقال يوسف بن أسباط: "تعلموا صحة العمل من سقمه، فإني تعلمته في اثنتين وعشرين سنة!!" وقيل لسهل بن عبد الله: أي شيء أشد على النفس؟

قال: "الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب".

أخي! ما أغلى الإخلاص من بضاعة .. وما أنفسه لمن عمل للساعة .. هنالك يسعد المخلصون .. ويبوء بالخسران المراؤون .. "إلام الرواح في الهوى والتغليس، وحتام السعي في صحبة إبليس، وكم بهرجة في العمل وتدليس" (ابن القيم).

أخي المسلم! الإخلاص جنة المخلصين .. وروح المتقين.

قال الجنيد: "الإخلاص سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده".

وقال مكحول: "ما أخلص عبد قط أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه".

وقال أبو سليمان الداراني: "إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء".

وقال بعضهم: "الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهدا غير الله ولا مجازيا سواه".

أخي في الله! كم بين المرائي والمخلص من درجات .. كما بين قلبيهما من النيات .. هذا علّق قلبه بخالق البريّات .. وذاك علق قلبه بالأموات .. فآه لها من درجات .. وكم دعا الصالحون بصلاح القلوب .. ورفعوا الأكف بذاك لمفرج المصائب والكروب.

"اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا" .. بهذه الكلمات الرقيقات كان يدعو الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ومن

دعاء مطرف بن عبد الله، علم الصالحين .. وأسوة العارفين: "اللهم إني أستغفرك مما تبت إليك منه ثم عدت فيه، وأستغفرك مما جعلته لك على نفسي ثم لم أوف به لك، وأستغفرك مما زعمت إني أردت به وجهك فخالط قلبي منه ما قد علمت".

أخي! فيا لذة المخلصين باخلاصهم .. وما أطيب الصادقين بإخباتهم ..

"فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه عن عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاصه الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيبا إلى الله خائفا منه راغبا راهبا كما قال تعالى: "من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ..." (ابن تيمية).

أخي المسلم! ما أقذر الرياء .. وما أسوأه يوم اللقاء .. "ريح الرياء جيفة تجافاها مشام القلوب، رياء المرائين صير مسجد الضرار مزبلة وخربة "لا تقم فيه أبدا" وإخلاص المخلصين رفع التفث بـ "رب أشعث أغبر .." (ابن القيم).

أخي المسلم! ما أحلى دعاء المخلصين .. وما ألطف همساتهم في ليل الغافلين .. {ذكر رحمت ربك عبده زكريا، إذ نادى ربه نداء خفيا} (مريم).

قال الحسن البصري: "بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول: "ادعوا ربكم تضرعا وخفية ...".

"وإذا كان الدعاء المأمور بإخفائه يتضمن دعاء الطلب والثناء والمحبة والإقبال على الله فهو من أعظم الكنوز التي هي أحق بالإخفاء والستر عن أعين الحاسدين وهذه فائدة من أعظم الكنوز التي هي أحق بالإخفاء والستر عن أعين الحاسدين، وهذه فائدة شريفة نافعة" (ابن القيم).

أخي المسلم! "فتش على القلب الضائع قبل الشروع، فحضور القلب أول منزل من منازل الصلاة، فإذا نزلته انتقلت إلى بادية المعنى، فإذا رحلت عنها أنخت بباب المناجاة، فكان أول قرى ضيف اليقظة كشف الحجاب لعين القلب، فكيف يطمع في دخول مكة من لم يخرج إلى البادية بعد؟!" (ابن القيم).

أخي! هل سمعت بقصة المرأة الزانية التي سقت كلبا فغفر الله لها؟ "فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها، وإلا فليس كل بغيّ سقت كلبا يغفر لها، فالأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإجلال" (ابن تيمية).

أخي المسلم! أما بلغك كيف كانت عبادة الصالحين .. وتوجه المخلصين؟! كم ضنوا بالطاعات من الآفات .. وحرصوا على سلامتها من العاهات، فألبسوها لباس الإخلاص والصدق .. فحصنوها في مكان حصين .. وحرز أمين.

ألا ترى إلى سيد العباد .. وزينة الزهاد، عامر بن عبد قيس كان رحمه الله لا يتنفل في المسجد مع أنه كان يصلي في كل يوم ألف ركعة!

وهذا الفقيه الرباني .. متين الإيمان، أبو وائل شقيق بن سلمة كان إذا صلى في بيته نشج نشجيا، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله .. رحمه الله.

وعلى هذا الطريق كان الربيع بن خثيم الثوري .. صاحب الهدى النبوي .. تلميذ ابن مسعود .. وصاحب الخط المسعود. كان عمله رحمه الله كله سرا، فربما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف، فيغطيه بثوبه.

وكان أيوب السختياني رحمه الله إذا غلبه البكاء في مجلسه قام .. حتى لا يفطن أحد لذلك.

وهذا ابن سيرين (رحمه الله) كان يضحك بالنهار ويبكي بالليل.

أخي! وأعجب معي من داود بن أبي هند رحمه الله .. صام عشرين سنة، ولم يعلم به أهله، كان يأخذ غذاءه ويخرج إلى السوق، فيتصدق به في الطريق، فأهل السوق يظنون أنه قد أكل في البيت، وأهل البيت يظنون أنه قد أكل في السوق!!

أخي المسلم! ذلك هو خلق المخلصين .. ومسلك الأوابين .. انقطعوا بقلوبهم عن الخلق .. فربحوا بتجارة الصدق. فاتوا من ذلك بالأعاجيب .. فوآه لها من غايات لكل أريب.

فعن عبدة بن سليمان قال: "كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، ثم آخر فقتله ثم آخر فطعنه فقتله ثم أخر فقتله، ثم

دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه الرجل فقتله، فازدحم الناس عليه، فكنت فيمن ازدحم عليه، فإذا هو ملثم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك!

فقال: "وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا؟!".

قال الإمام ابن الجوزي: "فانظروا رحمكم الله إلى هذا السيد المخلص كيف خاف على إخلاص برؤية الناس له، ومدحهم إياه فستر نفسه".

أخي في الله قل معي: رحم الله تعالى أولئك الصادقين .. المخلصين .. وأجزل لهم من عظيم إحسانه ثواب المتقين .. وحشرهم في زمرة الناجين .. يوم يكون الملك لرب العالمين .. وسلكنا معهم، آمين .. آمين .. آمين ..

أخي! وتعوذ من حال المرائين . . وشعار الغافلين .. فكم أفسد الرياء من قلوب .. وكم ضيّع نفوسا لا تخشع ولا تؤوب.

"وقد يشيع عن المتعبد إنه يصوم الدهر فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلا، وإن أفطر أخفى إفطاره لئلا ينكسر جاهه وهذا من خفي الرياء، ولو أراد الإخلاص وستر الحال لأفطر بين يدي من قد علم أنه يصوم ثم عاد إلى الصوم ولم يعلم به، ومنهم من يخبر بما قد صام فيقول: اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت، ويلبس عليه بأنك إنما تخبر ليقتدى بك، والله أعلم بالمقاصد" (ابن الجوزي).

أخي المسلم! ما أسوأ ديار الغافلين .. وما أقفر أرض المرائين .. هنالك حيث الأرض اغبرّت .. والمحاسن اسودّت.

ديار ينعق في جنباتها البوم والغربان .. لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، إنما هي قيعان!!

{ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا، ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا} (النساء).

❖❖❖

التوجيه الإسلامي

حالقة الدِّين

د. سعود بن نفيع السلمي
رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم واستن بسنتهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين .. أما بعد. فإن محبة المسلمين كل المسلمين وعدم تفرقهم واجتماع أمرهم مطلب شرعي وركيزة كبرى في ديننا الإسلامي .. يقول تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا}.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا – عباد الله – إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام. (روه الإمام أحمد وأصله في مسلم)

وفي البخاري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

إنه لمن المؤسف أن يحضر أحدنا مجلسا لطلاب العلم، أو يقرأ في كتاب من كتب الردود، أو يتصفح الشبكة العنكبوتية، وكثيرا ما نسمع ونقرأ هذه العبارات "هذا زنديق" قاتله الله أنى يؤفك" "جاهل متعالم" "يحب الظهور" "أضل من الدجال" "يريد هدم الإسلام" "الحمد لله الذي أراح الأمة منه" (تقال عند موته) الخ .. والقائمة تطول بمثل هذه الألفاظ وما يشبهها، وعندما تعرف الرامي والمرمي بها والسبب الداعي لذلك يتملكك العجب .. فالرامي طالب علم، والمرمي بها كذلك، والسبب خلاف علمي أو فقهي يسوغ فيه الاجتهاد.

لقد أحدثت هذه الألفاظ التي يتناقلها طلبة العلم عبر وسائل الإعلام المختلفة شرخا في جسد الأمة جعلتها شيعا وأحزابا، بل قد تطور الأمر عند بعضهم وانتقلوا من القول إلى الفعل فإذا تلاقوا لا يسلم أحدهم على الآخر، وإذا مرض لا يعده، وإذا مات فرح بموته .. فيهدم الحقوق التي ينبغي أداؤها لمن هو في دائرة الإسلام، بل تطور إلى أكثر من ذلك فاستحلوا دماء بعضهم، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك قضية إخواننا في الصومال، فقد كان الحاكم ومن معه من من يسمون بالإسلاميين، ومعارضوه كذلك يطلق عليهم نفس الوصف المذكور، وتطور الخلاف بينهم حتى تقاطعوا وتهاجروا ثم تقاتلوا.

روى أبوداود عن أبي الدرداء، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة"، قالوا: بلى، قال: "صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة" وفي رواية خرجها الإمام أحمد وغيره "دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، والبغضاء هي: الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده، لا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم".

إن ترك المجال لطلبة العلم في التنابز بمثل هذه الألقاب والاستمرار عليها وتكرارها ليل نهار خاصة من خلال وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي دون الأخذ على أيديهم من قبل العلماء والموجهين والمربين من شأنه أن يحدث نوعا من التراكم النفسي – لديهم تجاه الدعاة والمصلحين، ويصبح لكثرة ما يسمع عن هذا الداعية أو ذاك إذا رآه كأنه شيطان يمشي على الأرض .. ولعلني لا أكتمكم سرا أن هذا المقال كتبته بعد أن حصلت لي قصة طريفة ومؤلمة في نفس الوقت، حيث دعاني أحد أصدقائي لمنزله لمشاركته في وجبة العشاء مع ضيوفه من طلبة العلم القادمين من فرنسا، فلبيت الدعوة وحضرت إليه وقابلت ضيوفه وتحدثنا عن فرنسا والنشاط الإسلامي هناك، وكان من ضمن الضيوف طالب علم من فرنسا فلفت نظري أن صفته الخلقية تشبه صفة أحد الدعاة المشهورين فقلت له ممازحا، سبحان الله أنت تشبه الداعية الفلاني .. فنظر إلي وكأنني صفعته على وجهه .. وقال على الفور: (أعوذ بالله) .. فابتسمت له وقلت له: لماذا يا هذا؟ هل تعرف الرجل؟ قال: نعم. انه ضال مضل ولا

يشرفني أن يكون شبهي مثله، فقلت: هل رأيت الرجل وسبق أن التقيت به وسمعت منه؟ قال: لا ؟!!

إنه بمقدار ما في هذه القصة من طرافة إلا أنها تبين مدى الهوة السحيقة التي وصل لها طلبة العلم في خلافاتهم، وغالب هذه الخلافات خلافات شخصية ألبست لبوسا دينيا، أو كلام ملفق، أو كلام فهم على غير مراد قائله، أو تم اجتزاؤه من سياقه وسباقه، أو بسبب تأثر التابع بالمتبوع ونحو ذلك.

إن الشرع المطهر يهتم باجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقهم حتى لو أدى ذلك إلى قتل زعيم من زعمائهم فضلا عن آحادهم، ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما) وفي رواية عند مسلم أيضا "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه".

إن هذه الأحاديث وإن كانت واردة في مجال الخلافة إلا أن دلالتها على اهتمام الشارع بالاجتماع وعدم الفرقة غير خافية. لقد أمر الشارع بقتل من يريد تفريق المسلمين – مع أن إراقة دم المسلم ليس بالأمر الهين .. فقد ورد في الحديث الذي أخرجه الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمرو، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم" – وذلك لأن مصلحة الاجتماع وعدم الفرقة أولى وأوجب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا الأصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعا، وأن لا يُتفرق، هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية النبي – صلى الله عليه وسلم – في مواطن عامة أو خاصة، مثل قوله: "عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة" ... وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة بل وفي غيرها هو التفرق والاختلاف، فإنه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم".

نسأل الله بمنه وكرمه أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان ويجمع شملهم ويؤلف فيما بينهم ويهديهم صراطه المستقيم ويعيذهم من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن. إنه خير مسؤول. والحمد لله رب العالمين.

❖❖❖

البكاء المحمود في ضوء الكتاب والسنة

أبو البيان رفعت السلفي

الضحك والبكاء من الفطرة الإنسانية، يبكي الإنسان من غم وحزن وخوف وألم، ويضحك من فرح وسرور وفوز ونجاح، والمُبكي والمُضحك هو الله تعالى، كما قال تعالى: {وأنه هو أضحك وأبكى} (سورة النجم).

ولا يمكن لأحد من البشر أن لا يضحك ولا يبكي طول حياته الدنيوية، لأن الحياة البشرية مركبة من الفرح والسرور والأحزان والشرور، كما قال تعالى: {إن الإنسان خلق هلوعا، إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا} (سورة المعارج: ١٩، ٢٠، ٢١)، فاتضح لنا أن كل إنسان تارة يضحك وتارة يبكي. سأتحدث في السطور التالية عن البكاء المحمود وأقسامه في ضوء الكتاب والسنة بعون الله وتوفيقه.

البكاء لغة: مصدر قولهم بكى يبكي بكاء وبكى فهو باك، وهذا المصدر مأخوذ من مادة (ب ك ي). ذكر ابن منظور عن الفراء وغيره أن البكاء بالمد يكون إذا أردت الصوت الذي يكون مع البكاء، وإذا قصرت أردت الدموع وخروجها. (لسان الميزان ج ٤ ص ٨٢)، وقال الكفوي: البكاء هو يمد إذا كان الصوت أغلب، ويقصر إذا كان الحزن أغلب، وقيل: هو بالقصر خروج الدمع فقط، وبالمد خروج الدمع مع الصوت. (كتاب الكليات لأبي البقاء الكوفي ج ١ ص ٣٧٠).

البكاء اصطلاحا: هو إراقة الدموع من أثر الخوف من الله أو للتعبير عن حزن في الفؤاد. (نضرة النعيم: ج ٣ ص ٨٣٣)

أنواع البكاء: قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: البكاء أنواع: أحدها: بكاء الرحمة والرقة، الثاني: بكاء الخوف والخشية، وبكاء الخوف يكون لما يتوقع في

المستقبل من ذلك، الثالث: بكاء المحبة والشوق، الرابع: بكاء الفرح والسرور، ودمعة السرور تكون باردة، والقلب فرحان، ولهذا يقال لما يفرح به هو قرة عين، وأقر الله به عينه، الخامس: بكاء الجزع من ورود المؤلِم وعدم احتماله، السادس: بكاء الحزن، وبكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب، ودمعة الحزن حارة والقلب حزين، ولهذا يقال لما يحزن هو سخينة العين وأسخن الله عينه به، السابع: بكاء الخور والضعف، الثامن: بكاء النفاق وهو أن تدمع العين، والقلب قاس، فيظهر صاحبه الخشوع، وهو من أقسى الناس قلبا، التاسع: بكاء المستعار والمستاجر عليه كبكاء النائحة بالأجرة، العاشر: بكاء الموافقة هو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر ورد عليهم، فيبكي معهم ولا يدري لأي شيء يبكون، ولكن يراهم يبكون فيبكي. (زاد المعاد: ج ١ ص ١٧٥)

أيها القارئ الكريم: بعد أن علمنا أنواع البكاء لابد لنا أن نعلم ما هو البكاء المحمود والبكاء المذموم عند الله تبارك وتعالى، لنبكي كثيرا بكاء محمودا.

البكاء المحمود:

١ – هو البكاء من خشية الله ومن خوفه كما قال تعالى: {الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد} (سورة الزمر: ٢٣) وقال جل وعلا في موضع آخر: {إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير} (سورة الملك: ١٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله". (صحيح الجامع: ٤١١٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع". (صحيح الجامع: ٧٧٧٨)

٢ – ومن البكاء المحمود البكاء من سماع القرآن وما فيه بعد تدبره كما قال تعالى: {وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين} (سورة المائدة: ٨٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ عليّ، قلت يا رسول الله! أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} قال حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. (صحيح البخاري:٥٠٥٠)

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يبكي كثيرا إذا قرأ القرآن كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذف (عليه) نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبوبكر رجلا بكاء لا يملك عينه إذا قرأ القرآن. (صحيح السيرة النبوية ص: ٢١٥).

وقرأ عمر رضي الله عنه سورة الطور حتى بلغ {إن عذاب ربك لواقع) فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض، وعادوه، وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء. (أنذرتكم النار ص ٥).

وعن القاسم بن محمد قال: كنت غدوت فإذا عائشة قائمة تسبح، يعني: تصلي وتبكي وتقرأ (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم، إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم} (سورة الطور: ٢٧ ، ٢٨) وتدعو وتبكي، ترددها فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي، تصلي وتبكي. (فتح الباري، لابن رجب ج ٤ ص ٢٤٧)

وقرأ ابن عمر رضي الله عنهما {ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون، ليوم

عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين} (سورة المطففين: ١- ٦) بكى حتى خر وامتنع من قراءة ما بعده. (كتاب الزهد لوكيع بن الجراح ص ١٦).

٣ – ومن البكاء المحمود بكاء الاعتبار والتدبر والخوف من الوعيد كما قال تعالى: {ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا} (سورة الإسراء: ١٠٨، ١٠٩)

وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء. صلى الله عليه وسلم. (صحيح أبي داود: ٨٣٩)

بكى أبو هريرة في مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار، ولا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي. (شرح السنة للبغوي ج ١٤ ص ٣٧٣)

٤ – ومن البكاء المحمود بكاء الرحمة لفقدان العزيز كما بكى سيد المرسلين ورحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم على موت ابنه إبراهيم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القَين وكان ظئرا لإبراهيم عليه السلام. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبّله وشمّه ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: يا ابن عوف إنها رحمة، ثم اتبعها بأخرى، فقال صلى الله عليه وسلم: إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون. (صحيح البخاري: ١٣٠٣)

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم إليه أن ابنا لي قبض فائتنا، فأرسل يقرئ السلام، ويقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب. فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ونفسه تتقعقع. قال حسبته أنه قال: كأنها شن ففاضت عيناه، فقال سعد يا رسول الله ما هذا؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء. (متفق عليه).

أيها القارئ الكريم! قد عرفنا في ضوء الأحاديث المذكورة أن البكاء في طلب الآخرة، وفي خشية الله وفي حب الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عواقب المعاصي والذنوب محمود عند الله عز وجل وعند رسوله صلى الله عليه وسلم.

والبكاء المذموم هو البكاء لأجل الخلق ولأجل الدنيا، ومن الناس من يتباكى لأجل مصلحة مادية أو لأجل الرياء والسمعة. ولا يبكي من خوف الله وخشيته، ولا من عذاب الآخرة. لأنه لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر كما قال تعالى: {وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون} (سورة الروم: ٦، ٧).

خلاصة القول أن أسلافنا الكرام كانوا يبكون في آخرتهم، والآن نحن نبكي في خسارة الدنيا، لأنهم كانوا يؤثرون الآخرة على الدنيا، ونحن نؤثر الدنيا على الآخرة، كما قال تعالى: {بل تؤثرون الحياة الدنيا، والآخرة خير وأبقى} (سورة الأعلى: ١٦، ١٧).

أدعو الله أن يوفقنا وجميع المسلمين أن نبكي على سيئاتنا وذنوبنا، وأن نتوب إلى الله الغفار توبة نصوحا كي ننجح ونفوز في الدنيا والآخرة، آمين يا رب العالمين.

❖❖❖

أنواع من البدع

وحيد بن عبد السلام بالي

الاعتقاد في الحذاء:

من الناس من ألغى عقله، ونسخ تفكيره، وقلد غيره، فاعتقد أن الحذاء – أكرمكم الله – ينفع ويضر، فإذا ما بنى مصنعا جديدا، أو اشترى سيارة جديدة فخشي عليها العين، عمد إلى "حذاء" وعلّقه على السيارة، ظنا منه أنه يرد الحسد ويدفع عنه العين.

وهذا ضلال مبين، لا ينبغي أن يكون في بلاد المسلمين، نعم يقول النبي صلى الله عليه وسلم "العين حق" [(١)]،ولكن إذا خاف الإنسان على شيء من العين عوّذه بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعيذك بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة".

فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول للحسن والحسين: "أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة"، وقال: "كان أبوكما إبراهيم يعُوِّذ بهما إسماعيل وإسحاق" [(٢)].

الخوف من الأموات:

بعض الناس يعتقد أنه لو ذكر فلانا من الأولياء بسوء فقد يؤذيه في بدنه أو ماله أو ولده، وهذا اعتقاد باطل، لأن المتصرف في الكون هو الله تعالى.

[(١)] صحيح: رواه البخاري (١٠ / ٢١٣)، ومسلم في السلام، باب الطب (١٣ / ١٧٠، النووي).

[(٢)] صحيح: رواه البخاري (٦ / ٤٥٨ – الفتح).

نعم، لا ينبغي أن نذكر موتى المسلمين إلا بالخير كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تذكروا موتاكم إلا بخير" [١]، وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: "لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا" [٢].

والخوف من العبادات القلبية التي يجب ألا تصرف إلا لله وحده.

الاعتقاد في النجوم:

بعض الناس يفتح الجرائد ليطالع حظه اليوم: "أنت والنجوم"، فيحسب تاريخ ميلاده وبرجه، ثم ينظر ماذا كتب له المنجم في حظه اليوم، وكل هذا شرك لا يجوز، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد" [٣].

{قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله} (النمل: ٦٥).

التشاؤم من صوت البومة أو الغراب أو الحدأة:

بعض الناس إذا سمع صوت البومة [٤] قال: خيرا، من الذي سيموت اليوم؟ ما الذي سيحدث اليوم؟

روى الخمسة وصححه الألباني رحمه الله في "صحيح الجامع" (٣٩٦٠) عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الطيرة شرك".

التشاؤم من الرجل إذا انقطع التيار الكهربي عند دخوله:

ويقولون: "هو شؤم، "وشه يقطع الخميرة من البيت"، وهذا لا يجوز، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما رواه مسلم: "لا طيرة" أي: لا تشاؤم.

---

[١] حسن: رواه النسائي (٤ / ٥٢)، وقال الحافظ العراقي: إسناده جيد.

[٢] صحيح: رواه البخاري (٣ / ٥٥٢ – الفتح).

[٣] صحيح: رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٥٩٣٩).

[٤] البومة: طائر معروف في حجم الحمامة.

شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة:

كمن يتعود أن يصلي الجمعة في مسجد مقبور، كمسجد البدوي، أو الدسوقي، ومن يشد الرحال إلى مسجد إبراهيم الدسوقي ظنا منه أن الصلاة فيها أفضل من غيرها، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

ففي "الصحيحين" عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى" [(١)].

الركوع لغير الله:

الركوع: هو الانحناء بنية التعظيم، ولا يجوز أن يصرف إلا لله، فلا يجوز لموظف أن ينحني لمديره عند إلقاء التحية عليه، وكذلك ما يحدث من لاعب الكراتيه ونحوها من الانحناء لمدربه.

وكذلك انحناء المغني للجمهور عند إعجابهم به، كل هذا لا يجوز.

تكفير المسلم بغير حجة:

من الناس من يتسرع في تكفير المسلم بغير حجة ولا برهان، وهذا لا يجوز، فلأن يخطئ فيحكم لكافر بالإسلام خير من أن يخطئ فيحكم لمسلم بالكفر، ففي "الصحيحين": "من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما"، وفي رواية: "فإن كان كما قال وإلا حارت عليه" [(٢)].

الاحتفال بعيد الأم:

هذا الاحتفال اخترعه الغرب الكافر، لأن الرجل منهم كان يقاطع أمه بالسنوات الطوال لا يراها ولا يصلها، فجعلوا لها يوما في السنة يزورها فيه ويقدم لها هدية ثم يقاطعها باقي العام، أما الإسلام فقد حث على صلة الأم طوال العام وبرها، وخفض الجناح لها وعدم جفائها وقطيعتها.

فالاحتفال بعيد الأم تشبه بالكفار.

[(١)] صحيح: رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (٨٢٧).

[(٢)] صحيح: رواه البخاري (١٠ / ٥١٤)، ومسلم (٢ / ٤٩).

الاحتفال بعيد الميلاد:

من الناس من يحتفل كل عام بعيد ميلاده ويجمع أصدقاءه ويسهرون ويأكلون أنواع الحلوى، لاسيما "التورتة"، وهذا أيضا بدعة وتشبه بالكفار.

الاحتفال بالأعياد المبتدعة:

كعيد رأس السنة، وعيد العمال، وعيد التحرير، وعيد الجلاء، وعيد النصر. وهذا منهي عنه لثلاثة أمور:

١ – بدعة لم تشرع.

٢ – لأهل الإسلام عيدان فقط: عيد الفطر والأضحى، ففي "الصحيحين": "إن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا".

٣ – تشبه بالكفار، ونحن مأمورون بمخالفتهم [1].

الحلف بغير الله:

من الناس من يحلف بغير الله في كلامه مثل قول بعضهم:

- وحياتك.
- بذمتك.
- والعيش والملح.
- والنبي.

وكل هذا حلف بغير الله، لما روه الحاكم وصححه، والترمذي وحسنه، وصححه الألباني في "الإرواء" عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حلف بغير الله فقد أشرك" [2]، ومن كان متعودا على هذه الأَيمان فكلما أخطأ وحلف بغير الله فليقل: "لا إله إلا الله"، لما رواه الشيخان عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه

[1] انظر لزاما: "المنظار" (١٨) للشيخ صالح آل الشيخ.

[2] صحيح: رواه الحاكم وصححه، والترمذي وحسنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠٤)، والسلسلة الصحيحة (٢٠٤٢).

وسلم قال: "من حلف منكم فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعالَ أقامرك. فليتصدق بشيء" [١].

الحلف بالأمانة:

كثير من الناس يحلف بالأمانة، وهذا النوع من الحلف قد ورد نهي خاص عنه، فقد روى أبوداود وصححه الألباني في "الصحيحة" (٩٤) عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من حلف بالأمانة فليس منا".

الاعتقاد في المرآة:

يعتقد بعض الناس أن النظر في المرآة ليلا لا يجوز، ويعتقد بعضهم أن المرآة إذا تركت بدون غطاء ليلا فإن الحامل تسقط .... وكل ذلك باطل.

الاعتقاد في كنس البيت:

يعتقد بعضهم أن المسافر إذا خرج من بيته فكنس أهل البيت بيتهم فإنه لن يرجع من سفره هذا، ويتشاءمون بذلك.

ربنا في كل مكان:

هذه العبارة صحيحة إن قصد قائلها أن الله في كل مكان بعلمه، وإحاطته وقدرته، كما قال تعالى: {ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم} (المجادلة:٢٢).

فهذه معية العلم والإحاطة، لأن الآية افُتتحت بالعلم {ألم تر أن الله يعلم ..}، واختتمت بالعلم: {إن الله بكل شيء عليم}.

أما إن قصد بها معية الذات أن الله في كل مكان بذاته فهذا خطأ، لأنه أخبر عن نفسه أنه فوق السماوات السبع على العرش سبحانه فقال: {الرحمن على العرش استوى}، فهو سبحانه على العرش مستو بكيفية تليق بجلاله وعظمته لا نعلمها.

---

[١] صحيح: رواه البخاري ومسلم.

الاعتقاد أن كنس البيت ليلا يورث الفقر:

يعتقد بعض الناس ذلك، وهذا اعتقاد باطل، فكنس البيت ليلا أو نهارا لا علاقة له بالغنى والفقر.

كراهية إنجاب البنات:

بعض الناس يكره إنجاب البنات، وهذا خطأ لأنه يجب أن يؤمن بالقضاء والقدر، ولعل الله يجعلهن بنات صالحات فينتفع ببرهن في حياته ودعائهن بعد موته.

والإنفاق على البنات أجره عظيم، وثوابه جزيل، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من ابتُلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار" [١].

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو". وضم أصابعه. رواه مسلم [٢].

ورواه الترمذي بلفظ: "من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين، وأشار باصبعيه" [٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة" [٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من كن له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأدبنهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة" [٥].

❖❖❖

[١] صحيح: رواه البخاري (١٤١٨) ، ومسلم (٢٦٢٩).

[٢] صحيح: رواه مسلم (٢٦٣١).

[٣] صحيح: رواه الترمذي (١٩١٤)، وحسنه، وصححه الألباني في "صحيح الترغيب" (١٩٧٠).

[٤] حسن: رواه أحمد (١ / ٢٣٥)، وابن ماجه (٣٦٧٠)، وابن حبان (٢٩٤٥)، وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب" (١٩٧١)، والأرناؤوط في "الإحسان" (٢٩٤٥).

[٥] صحيح: رواه أبوداود (٥١٤٧)، والترمذي (١٩١٢)، وصححه الألباني في "صحيح الترغيب" (١٩٧٣)، والأرناؤوط في "الإحسان" (٤٤٦).

التحقيق فيمن تولى كبر الإفك على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

فاروق عبد الله بن محمد أشرف الحق
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد .

قد وردت روايات مختلفة فيمن تولى كبر الإفك على أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما . فهناك رواية تصرح بأنه عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين - قبحه الله ولعنه- ، ورواية أخرى تشير إلى أنه حسان بن ثابت رضي الله عنه ، وبعض من في قلبه مرض يغتنم مثل هذه الفرص لجرح الصحابة رضي الله عنهم، ويجعله مدخلًا للطعن فيهم .

فكتبت هذه السطور لتحقيق هذا الأمر راجيًا من الله تعالى أن ينفع به عباده المؤمنين .

قال الله تبارك وتعالى في قصة الإفك : (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [١].

قال الضحاك في معنى قوله تعالى "والذي تولى كبره" : معناه "الذي بدأ بذلك"[٢] .

وقال مجاهد : "يذيعه"[٣] .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : "والذي تولى كبره منهم " قيل : ابتدأ به ، وقيل : الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه"[٤] .

---

(١) سورة النور (١١) .

(٢) تفسير ابن جرير (١٩١/١٧) وتفسير ابن أبي حاتم (٢٥٤٥/٨) .

(٣) تفسير ابن جرير (١٩٦/١٧) .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٥/٦) .

فمن المراد في قوله تعالى : (والذي تولى كبره) ؟

جاءت روايات في تفسيرها في السنة النبوية , إليكم نماذج من ذلك:

أولًا : الرواية التي تصرح أنه عبد الله بن أبي ابن سلول :

أخرج الإمام البخاري[١] من طريق الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها : (والذي تولى كبره) قالت : عبد الله بن أبي بن سلول .

وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة[٢] فقال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار السكري ببغداد , قال : أخبرنا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار , قال :حدثنا أحمد بن منصور قال : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن الزهري قال : كنت عند الوليد بن عبد الملك فقال : الذي تولى كبره منهم علي، فقلت : لا ، حدثني سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود ، كلهم سمع عائشة رضي الله عنها تقول : الذي تولى كبره عبد الله بن أبي، قال : فقال لي : فما كان جرمه ؟ قال : قلت : سبحان الله ! من قومك أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أنهما سمعا عائشة تقول: كان مسيئًا في أمري" .

وإسناده حسن , فإن عبد الله بن يحيى السكري قال فيه الخطيب البغدادي : "كتبنا عنه وكان صدوقًا"[٣] .

وقال : سمعت البرقاني يقول : "عبد الله بن يحيى السكري شيخ" , وحسن أمره [٤].

وإسماعيل بن الصفار وثقه الدار قطني فقال : "كان ثقة متعصبا للسنة"[٥] .

وأحمد بن منصور وثقه أبو حاتم الرازي[٦] والدارقطني[٧] .

---

(١) [٤٧٤٩] .

(٢) (٧٢/٤) .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤٥٤/١١) [٥٣٠٠] .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٤١/١٥) .

(٦) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧٨/٢) .

(٧) تاريخ بغداد (٣٦٥/٦) [٢٨٥٦] .

وبقية رجال الإسناد ثقات مشهورون .

فهذه الرواية صريحة أن الذي تولى كبر الإفك على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هو عبد الله بن أبي رأس المنافقين . وهي رضي الله عنها كانت صاحبة القصة فلا شك هي عالمة ومتيقنة بها .

أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فما خاض في القضية أصلًا - والله أعلم- اللهم إلا ما جاء عند البخاري في صحيحه[١]؛ قالت عائشة رضي الله عنها : " ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله . قالت : فأما أسامة فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه , فقال أسامة : أهلُك ولا نعلم إلا خيرًا . وأما علي فقال : يا رسول الله ! لم يضيق الله عليك , والنساء سواها كثير, وسل الجارية تَصدُقْك" .

وفي رواية للبخاري[٢] قالت عائشة رضي الله عنها : كان علي مسلِّما في شأنها .

قال الحافظ في الفتح[٣] : "كذا في نسخ البخاري بكسر اللام الثقيلة , وفي رواية الحموي بفتح اللام" .

وقال : "رواية الفتح تقتضي سلامته من ذلك , ورواية الكسر تقتضي تسليمه لذلك"[٤] .

وقال : "وكان بعض من لا خير فيه من الناصبة تقرب إلى بني أمية بهذه الكلمة , فحرفوا قول عائشة إلى غير وجهه لعلمهم بانحرافهم عن علي فظنوا صحتها , حتى بين الزهري للوليد أن الحق خلاف ذلك, فجزاه الله تعالى خيرًا"[٥] .

ثانيًا : الرواية التي تشير إلى أنه حسان بن ثابت رضي الله عنه :

---

(١) كتاب المغازي , باب حديث الإفك [٤١٤١] .

(٢) [٤١٤٢] .

(٣) فتح الباري لابن حجر (٢٥١/٩) ط : دار طيبة .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

أخرج الإمام البخاري[١] من طريق مسروق قال : دخلنا على عائشة رضي الله عنها وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعرًا يشبب بأبيات له , وقال :

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة : لكنك لست كذلك . قال مسروق : فقلت لها : لم تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى : (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم), فقالت : وأي عذاب أشد من العمى . قالت له : إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول الراجح في تفسير قوله تعالى : (والذي تولى كبره) :

لاشك - والله أعلم- أن الذي تولى كبر الإفك هو عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين وحامل لوائهم - قبحه الله ولعنه- , وهذا مشهور بين علماء أهل السنة والجماعة , ويدل لذلك أمور :

١ - قال الله تعالى : "والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم" , والظاهر أنه عذاب الآخرة , أو أنه يشمل عذاب الدنيا والآخرة . وهذا العقاب مناسب جدًا مع عبد الله بن أبي المنافق , وحسان قد أقيم عليه الحد حدَّ القذف . وقد ورد في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا : "ومن أتى منكم حدا فأقيم عليه فهو كفارته، ومن ستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له" [٢] .

٢ - قد مر سابقًا أن معنى قوله تعالى : " والذي تولى كبره" أي : ابتدأ به ويذيعه ويشيعه , وهذا يوافق مع عمل عبد الله المنافق , وهو الذي بدأ القول به، وكان يجمع أهله ويحدثهم به ويذيعه ويشيعه .

٣ - جاء التصريح من قول عائشة رضي الله عنها أنه عبد الله بن أبي وهي صاحبة القصة , وصاحب البيت أدرى بما فيه .

٤ – قال به الزهري وهو أحد رواتها ونقلتها [٣].

---

(١) [٤١٤٦] .

(٢) صحيح مسلم [٤٥٦٠] .

(٣) دلائل النبوة للبيقي (٧٢/٤) .

٥ - قال الله تعالى في بداية هذه القصة : (إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ) . وتطلق العصبة من العشـرة إلى الأربعين، بينما الصحابة الذين ذُكروا في الإفك ثلاثة ، فعُلم أن المراد بالعُصبة المنافقون، ثم ذكرت الآيات الذي تولى كبره من هذه العُصبة، ولا شك أن هذا السياق يدل على واحد من هذه العُصبة، وهو عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول[1] .

أما الرواية التي تشير إلى أنه حسان بن ثابت رضي الله عنه, فالجواب عنها :

إن عبد الله بن أُبَيّ هو الذي تولى كبره , فاخترع حادثة الإفك مع صحبة من المنافقين وروّجه في المدينة، وكان يصول ويجول، وهو الذي يجمع الناس في بيته ممن هم على شاكلته في الخبث والنفاق, وكان يذيع ذلك ويردّده مع عصابته وأهل بيته، ولما انتشر الكلام في ذلك من قِبلهم، وكانوا يتناقلونه فيما بينهم أثّر ذلك في بعض المؤمنين، وصاروا يتكلمون به , لا أنهم بدؤوا به وروجوه؛ فالآية نزلت في عبد الله بن أبي رأس المنافقين .

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله : "الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبي بن سَلُول - قبحه الله ولعنه - وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث، وقال ذلك مجاهد وغير واحد .

وقيل: بل المراد به حسان بن ثابت، وهو قول غريب، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة، فإنه من الصحابة الذين كان لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن محاسنه أنه كان يَذُب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره ، وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "هاجهم وجبريل معك"[2] , انتهى .

الدروس والعبر المستفادة من قصة الإفك:

١ – براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من الإفك الذي افتراه المنافقون، وإثبات فضلها حيث برأها الله تعالى من فوق سبع سماوات بقرآن يتلى إلى آخر الزمان .

---

(١) أجاب به الشيخ سليم بن عيد الهلالي حفظه الله كما في موقعه الالكتروني بعنوان : "درء الشك عما أشكل من حديث الإفك".

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٢٥- ٢٦) .

٢ - وجوب التثبت من الأقوال قبل نشرها، والتأكد من صحتها، قال تعالى: (وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) [النور:١٦].

٣ - بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه ما كان يعلم الغيب .

٤- الحرص على سلامة المجتمع المسلم وجعل المسلمين يحسنون الظن بعضهم ببعض، قال تعالى: (لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) [النور: ١٢].

٥ - الحث على التفاؤل بالخير ولو كان الأمر ظاهره شرًا , قال تعالى : (لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ)[النور: ١١] . فقد صار ابتلاء أسرة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - بحديث الإفك خيرًا لهم، حيث كتب الله لهم الأجر العظيم على صبرهم وقوة إيمانهم وأنزل فيهم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة .

٦ - النهي عن إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، قال تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) [النور: ١٩].

٧ - أهمية الشورى , وطلب الفاضل له من المفضول والاعتداد برأيه .

٨- حكمة الله تعالى في الحدود , ومنها حد القذف وأهميته في المحافظة على أعراض المسلمين .

٩ - درء المفاسد مقدم على جلب المصالح حيث ما أقيم الحد على من تولى كبره .

١٠ - عدم الاستعجال في فراق الأهل والتأني فيه .

أكتفي بهذا القدر فإنها عشرة كاملة , والقصة فيها غير ما ذكرت من دروس وعبر كثيرة لمن تأملها .

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضاه .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

❖❖❖

التعليم والتربية

التفريق بين العلوم اللغوية والعلوم الشرعية

الشيخ عبد الوكيل مسرور المدني

من الخطأ الفاحش الذي يرتكبه البعض الفصل بين علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية، إذ إن الشريعة ومقاصدها لا تفهم على مرادها هي إلا بعد إتقان العلوم اللغوية والأدبية والبراعة فيها. فكثيرا ما نتغاضى عن هذه العلوم (اللغة والأدب) ونطوي دونها كشحا بحجة أنها وسيلة، والغاية هي العلوم الشرعية مستدلين بأن الغاية أولى من الوسيلة. وأنى لأحد يجهل اللغة العربية وآدابها، ودقائقها وأسرارها أن يفهم نصوص الكتاب والسنة كما أراده الشارع الحكيم، وكما فهمه أهل القرون المفضلة – السلف الصالح – رحمهم الله جميعا، وليس قصدي من ذلك أن اللغة وحدها هي المعول عليها، بل القصد التركيز على جانب علوم اللغة وآدابها وعدم الغضّ من شأنها.

وهذه الوجهة الخاطئة للفهم أعقبت فسادا عظيما في الأمة الإسلامية، وللأسف الشديد إننا نسمع في أوساط العلماء وأروقة الجامعات وواحاتها مثل هذه الأصوات، وربما نجد بعضهم يقولون: كلية اللغة العربية لا طائل تحت إنشائها ولا جدوى من دراسة المواد اللغوية.

وسيتجلى بكل وضوح في الأسطر التالية خطأ هذه النظرية في ضوء البراهين القاطعة والحجج الدامغة حيث يشعر القارئ فيها بمدى زيف هذا التصور إن شاء الله تعالى.

فمن الثوابت المسلمة لدى الجميع أن فهم نصوص الوحيين لا يتأتى إلا بعد معرفة اللغة العربية وإتقانها، لأن هذه النصوص بالعربية الفصحى وادعاء معرفة سائر مقاصد الشريعة وأسرارها دون معرفة اللغة والأدب ادعاء زائف لا حقيقة له.

وسأحاول فيما يلي إيراد بعض ما يشعر بأهمية علم النحو وقواعده الأساسية ودورها في فهم العقيدة الصحيحة. فمثلا لو تأملنا في قوله تعالى: "وكلم الله موسى

تكليما". وجدنا أن المصدر "تكليما" وقع مفعولا مطلقا للفعل "كلّم". وقد سيق هنا مصدر الفعل ذاته للتأكيد وللدلالة على إثبات الحقيقة ونفي المجاز. والقاعدة تقول: تأكيد الفعل بمصدره ينفي المجاز عنه. فمعنى الآية أن الله تعالى كلم موسى – عليه السلام – حقيقة لا تدع أي مجال للمعنى المجازي. وهذا من أقوى دلائل أهل السنة والجماعة يرد بها على عقيدة المعتزلة وغيرها من الفرق الضالة التي تؤول صفات الله العلى.

وكذلك لو تأملنا في قوله تعالى: "يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت.." رأينا أن كلمة (مرضعة) وردت مع تاء التأنيث مع أنها من الصفات الخاصة بالإناث. فما الحكمة إذاً من اقتران هذه الصفة بالتاء؟ وهذا السر لا يتجلى إلا بمعرفة الصرف. والقاعدة الصرفية تقول: الصفات الخاصة بالإناث تأتي لغرضين:

(أ)إن هذا الصيغ تورد للدلالة على الحدث فقط، وحينئذ تجرد من التاء.

(ب)وتأتي مقرونة بالتاء وحينئذ تدل على مباشرة الحدث.

وما أنسب مساق هذه الصيغة في الآية مع المقام، إذ أنها تمثل أهوال يوم القيامة وشدائد ذاك اليوم العسير حيث تفارق فيه المرضعة وليدها الملتصق بثديها مع أنها كانت تتدفّق رحمة بها، وتدّر بالعطف عليه. وهذه اللطيفة البيانية لم تتأت في الآية الكريمة إلا بهذه التاء التي زيدت في آخر الصفة. ولا يعرف أحد هذا السر البياني إلا بمعرفة قواعد الصرف.

وكذلك لو أمعنا النظر في قوله تعالى: {إياك نعبد وإياك نستعين} أدركنا أن الحصر لم يتحقق في الكلام إلا بتقديم ما حقه التأخير الذي هو أحد أساليب الحصر عند العرب. وبهذا الحصر المذكور تأكد وحدانية الرحمن وألوهيته، وأنه هو المستحق للعبادة دون غيره. فكيف يعرف هذا من يجهل القواعد النحوية.

وإليك – أخي القارئ – بعض الشواهد التي تشعر بقيمة علم البلاغة ومكانتها في معرفة مدلولات القرآن الكريم والتدبر في صوره البيانية الرائعة. قال تعالى: {وإلهكم إله واحد} فمن المعلوم لدى الجميع أن توحيد الألوهية هو الذي حصلت فيه

الخصومة بين الرسل وأقوامهم. وكان هذا النوع من التوحيد محط الخلاف وموضع النقاش الحاد فيما بينهم. ومع ذلك كله نرى أن الكلام ألقي إلى المخاطب خاليا من أدوات التأكيد رغم إنكاره وجحده. وهذا من أبلغ الأساليب البلاغية وأرقاها وأقواها منطقيا وعقليا، إذ إن التوحيد نداء كل قلب سليم وصدى صادق ينبع من الفطرة، وليس بحاجة إلى براهين خارجية، بل هو من البديهيات التي لا تدع أي مجال للقبول والرد.

وبالعكس نرى في قوله تعالى: "إنك ميت وإنهم ميتون" أن الكلام ألقي إلى المخاطب مؤكدا بأداة، مع أن الموت من الثوابت المسلمة لدى الجميع. وبعد التأمل في الآية الكريمة ندرك أن تأكيد الكلام هنا يؤدي غرضا ساميا بلاغيا يناسب مع المقام، وذلك بإشعار أن المخاطب في غفلته عن الدار الآخرة وانغماسه في ملذات العاجل بمنزلة المتردد رغم تيقنه به.

وكذلك لو تدبرنا في الآية: {هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ...} وجدنا بين كلمة (الأميين) وبين (ويعلمهم الكتاب والحكمة) نوعا من التضاد المعنوي وضربا من المحسنات اللفظية في صورة الطباق. وهذا الطباق سيق هنا تحديا للعرب وإشعارهم بأن هذا النبي رغم كونه أميا بعث هاديا ومعلما لسائر الثقلين، ودرءاً لشبهة الأعداء الذين كانوا يزعمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم، يتلقى العلم من أهل الكتاب {وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا}.

ولا يفوتني أن أذكر أن قضية الإعراب من أهم القضايا التي يعالجها علم النحو. فالإعراب كما نص علماء اللغة الكبار فرع عن المعنى فإذا استقام الإعراب استقام المعنى والعكس بالعكس. فأي خطأ في الإعراب يخلّ بالمعنى المراد في الكلام من فاعلية ومفعولية وما إلى ذلك. ومن أجل مكانة الإعراب أفردت مؤلفات فيه، ولاسيما كتب إعراب القرآن الكريم التي لها دورها الكبير في ذكر معاني القرآن الكريم. ومن أبرزها وأشهرها ما ألفه النحاس النحوي. واختلاف القراءات القرآنية له توجيهاته

النحوية. وكم من الخلافات اللغوية ترتّب عليها أحكام الفقه المختلفة، فمثلا الخلاف في إطلاق اليد على الكف والذراع في مسألة التيمم. وربما نجد اختلافا في تفسير معنى من معاني القرآن الكريم بسبب كلمة واحدة تطلق على معنيين متضادين لدى العرب. مثل تفسير كلمة (عسعس) في قوله تعالى: {والليل إذا عسعس} بالإقبال والإدبار نظرا للاحتمال في الآية الكريمة. ويسمى هذا النوع بالتضاد في علم اللغة. وأحيانا نرى الكلمة الواحدة لها إطلاقات عديدة لدى العرب، مثل كلمة (قرء) تدل على الحيض والطهر في قوله تعالى: {والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء} وهذا النوع يسمى في علم اللغة بالمشترك اللفظي.

أكتفي هنا بهذه الشواهد خوفا للإطالة. وقبل إنهاء الموضوع أود التنبيه إلى أننا إذا لم نمتلك ناصية التعبير والبيان ولم نتقن العلوم اللغوية والأدبية حق الإتقان نتخلف عن الرد على كثير من شبهات الأعداء التي يثيرونها حول الدين الحنيف. وأقترح أن يكون هناك جماعة من العلماء اللغويين وأصحاب الأدب والبلاغة متمكنون من علوم اللغة والأدب ليذودوا عن حياض الدين الحنيف من الناحية اللغوية والأدبية. فإن خدمة لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ليست بمعزل عن خدمة الدين. فاللغوي أو الأديب إذا تسلح بالعلوم الشرعية يخدم الإسلام، ويسعى بإذن الله في نشره، مثل ما يخدم الفقيه والعالم بمقاصد الشريعة بفقهه والمفسر بتفسيره والمحدث بتمكنه من علوم السنة النبوية.

وخلاصة القول أن علماء الأمة بحاجة إلى توسيع آفاق تفكيرهم والعناية بعلوم اللغة والأدب قدر عنايتهم بعلوم الشريعة، وعليهم أن يعرفوا أن علوم اللغة ليست بنجوة عن العلوم الشرعية من منظور إسلامي يرى بالنظرة العادلة إلى العلم بوجه عام.

وختاما أسأل الرحمن الرحيم أن يوفقنا لما يحب ويرضى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❖❖❖

من أخبار الجامعة السلفية

انتهت في الجامعة السلفية اختبارات الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي ١٤٣٤ - ٣٥ هـ = ١٤ - ٢٠١٣ م في يوم السبت: ١٧ / رجب ١٤٣٥ هـ = ١٧ / مايو ٢٠١٤ م، وكانت قد بدأت يوم الاثنين: ٥ / رجب ١٤٣٥ هـ = ٥ / مايو ٢٠١٤ م واستمرت إلى أسبوعين، تخللها عطلة يوم الاثنين: ١٢ / مايو بسبب عقد الانتخابات البرلمانية في دائرة بنارس. وقد خصص أسبوع كامل قبل موعد الاختبار للمراجعة والمذاكرة، حيث توقفت فيه الدروس في الفصول، والطلاب قاموا بالمذاكرة والمراجعة للمقررات في هذه الفترة، وكانوا يراجعون إلى المدرسين عند احتياجهم إلى ذلك. وقد عقدت الاختبارات في خمس قاعات واسعة في المبنى المركزي للجامعة، وهي: (١) مسجد الجامعة (٢)القاعة الواقعة تحت المسجد (٣) الدور الثاني للمسجد (٤) قاعة المحاضرات الواقعة تحت المكتبة المركزية (٥) قاعة دار الحديث. وتم تشكيل خمس مجموعات للمدرسين لمراقبة الاختبارات، حيث إن كل مجموعة كانت تقوم بالمراقبة في قاعة واحدة دوريا.

وقد شارك في هذه الاختبارات نحو ألف طالب من مختلف المراحل الدراسية، منهم نحو (٢٥٠) طالبا قدموا من المدارس التابعة للجامعة من مختلف ولايات الهند، حيث إن الطلاب الدارسين في السنة الثانية للثانوية في هذه المدارس يختبرون في كلا الاختبارين: النصفي والسنوي في داخل الجامعة السلفية مع سائر الطلاب. وبعد إحراز النجاح في هذا الاختبار يستحقون لمواصلة الدراسة بمرحلة العالمية في الجامعة السلفية.

وبعد الانتهاء من الاختبارات غادر الطلاب المقيمون الجامعة إلى أوطانهم وأسرهم، وواصل المدرسون أعمالهم في تصحيح أوراق الاختبار وإعداد النتائج. وبدأت إجازة المدرسين والموظفين من يوم الاثنين: ٣ / شعبان ١٤٣٥ هـ = ٢ / يونيو ٢٠١٤ م. وهذه هي إجازة صيفية تكون كالعادة لكامل شهر يونيو، تتبعها إجازة شهر رمضان وعيد الفطر، وتفتح الجامعة أبوابها للعام الدراسي الجديد في يوم السبت: ١١ / شوال المكرم ١٤٣٥ هـ = ٩ / أغسطس ٢٠١٤ م بإذن الله تعالى.

❖❖❖

المجلة تهدف إلى

- ☆ إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكري، والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الإسلام، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الإسلامية والثقافة الدينية.
- ☆ مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمباديء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.
- ☆ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق ووعي وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.
- ☆ إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعي الإسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الإسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.
- ☆ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.
- ☆ التوجيه الديني السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضي فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد.

عـــدد صفحـــات الجـــزء: ٦٠